

مجموعة الأعمال الكاملة

حصاد الصبر

عبد الوهاب مطاوع

دار

أخبار اليوم

قطاع الثقافة
والكتب والمكتبات

حصاد الصبر

عبد الوهاب مطاوع

دار أخبار اليوم
قطاع الثقافة
جمهورية مصر العربية
٦ شارع الصحافة القاهرة

تصميم الغلاف : د . عبد الكريم محمود

مقدمة

فى هذا الكتاب مجموعة جديدة من قصص الحياة الواقعية التى تعاملت معها عن قرب خلال كتابتى لباب بريد الجمعة الأسبوعى فى الأهرام ، وبعض هذه القصص الواقعية سوف يحرك أشجانك وربما أحزانك .. وبعضها الآخر قد يثير خواطرك وتأملاتك فى أحوال الدنيا الغريبة ، وبعضها الثالث قد يجدد سخطك على كل ما فى الحياة من غدر ومعاناة وتعاسة إنسانية .. وفى كل هذه الأحوال فلقد تزيد هذه القصص والصور الإنسانية من خبرتك بالحياة ، ومعرفتك ببعض أسرار النفس البشرية .. فلقد تعلمت منها خلال تعاملى معها الجديد عن الحياة والبشر والنفس الإنسانية .. وأردت أن أشركك معى فيما تعلمته منها .. وفى درس التجربة الذى دفع أبطال هذه القصص ثمنه غاليا من أمانهم وحياتهم وسعادتهم قبل أن يسطروا تجاربهم على الورق .. وغاية أملى هو أن تزداد بعد قراءتك لهذه القصص تمسكا بالقيم والمثل وكل المعانى الجميلة فى الحياة ، ورفضا واستنكارا وإدانة لكل صور الغدر والقبح والظلم الإنسانى فيها .

عبد الوهاب مطاوع

حق الاختيار!

ليست هذه هي المرة الأولى التي أحاول الكتابة إليك فيها .. لكنني أكتب إليك الآن لأن ذلك قد يكون آخر محاولة لانقاذ ما تبقى من حياتي .. فأنا سيدة عمري ثلاثون عاما حاصلة على شهادة جامعية وعلى قدر من الجمال وقد نشأت في أسرة كريمة ولي أخوة أصغر مني ، ولقد نشأني أبي على الأخلاقيات والطباع التي نشأ هو عليها ، وربى فيّ الإحساس الشديد بالخطأ والصواب فلم أحاول خلال صباي مجرد الحديث العابر مع أي شاب ليس بضغط من والدي ، وإنما عن اقتناع داخلي بذلك ، ثم جاءت المرحلة الجامعية ، وفي اليوم السابق لدخولي الجامعة لأول مرة ، نبهني أبي إلى أنني سأذهب إلى مجتمع جديد عليّ وأنه يطلب مني أن أدع قلبي لديه هو ليحفظه لي حتى يهديه فيما بعد لمن يشعر بأنه يستحقه ، لأن الهدف من الجامعة هو الحصول فقط على الشهادة وليس أي شيء آخر .. ولم أغضب لما قاله أبي ، لاقتناعي بأنه ليس من حقي أن أهب مشاعري وعواطفي إلا لمن سوف أتزوجه وحده ، وبدأت مرحلة الدراسة الجامعية ، فلم أقترب من أحد ولم أسمح لأحد من الزملاء بالاقتراب مني، إلى أن

اقتـربت بداية العـام الجامـعى الثالث وذهبت مع والدتى إلـى أحد المحلات التجارية بمصـر الجديدة لشراء ملابس للجامعـة فالتقينا بقريبة لوالدتى لم أرها ولم ألتق بها من قبل .. ولم يستغرق اللقاء بيننا أكثر من ربع الساعة .. لكنه غيَّر مجرى حياتى بشدة بالرغم من ذلك ، فـبعد يومـين من هذا اللقـاء العابر زارتنا شـقيـقة هذه القريبـة فى بيتنا مـع زوجها وابنهـا ، وبعد يوم آخـر اتصلت بنا الشقيقة وطلبت مـقابلة أبى لخطبتى منه ، وجاءوا لزيارتنا وطلبت منى والدتى تحيتهم فدخلت الصالون وجلست بينهم بعض الوقت والخجل يسـيطر علىّ فلا تواتينى الجرأة على التحـقق من ملامح الشاب المرشح للارتباط بى ، وفى هذه الجلسة تمت قراءة الفاتحة والاتفاق على مـوعد الخطبـة ثم القران والزفاف عـلى أن أقيم مع زوج المسـتقـبل فى مـسكن والدته حيـث إنه أصغـر الأبناء ، ولم أعترض على ذلك .. بل كنت راضية تمامـا وعلى ثقة كاملة بحسن اختيار أبى لى .

وتحدد موعـد قريب للخطبة وقبل حلوله بيومـين أخبرنى أبى بأنه قد قرر أن تكون الخطبة قرانا وأن يتم الزفاف عقب حصولى على الشهادة .. ولم اعـترض على ذلك ، بل لقد فرحت بالفـستان الأبيض والعريـس والشبكة مثلى فى ذلك مـثل أية فتـاة أخرى .. وتمت الخطبة وعقـد القران خلال بضعـة أيام من رؤيتى لخطيبى لأول مرة فى الصالون ، وزارنا بعدها مـرتين ثم بدأ فترة الخدمة العسكرية .

وبعد شـهر آخر اتصلت بنا شـقيقـته لتبلغنـا بأن خطيبى فى الرعاية المركزة بمستـشفى المعادى العسكرى .. وهرولت إلى هناك

مع والدتى فوجدناه فى حالة سيئة للغاية ولا يكاد يشعر بما حوله بعـد إصـابتـه بنزيف فـى المخ ، وتأثرنا جـمـيـعـا بما أصـابه ، ولم يتردد أبى فى أن يؤكـد لوالده أننا لن نتخلى عنه مهـما حدث له لأنه زوج ابنتـه ، وبعـد فتـرة ليـست قصـيـرة غادر خطيـبى المستـشفى على أن يرجع إليه للمـتابعة الصـحية كل أسـبوع لمدة ستـة أشهـر ، وشعـرت بالحزن والأسى لخطيـبى وأنا أراه يتكلم دون تركيـز أو بلا توقف ولا يحب أن يقاطعه أحـد .. علاوة على عصبيته الشديدة ، ومرت هذه الفترة العصيبة من حياتى بصعوبة شديدة ودفنت كل أحـلامى القديمة فى السعادة والحـب والتفاهم مع مـن أحب ولن يـلمس يـدى ســـواه ، وتحـطم كل شـىء فى داخلى .. ولم يبق إلا الحـزن والصمت وأنا أرى خطيبـى عصبـيا بدرجة لا يمكن تصورها ولا يعرف مـعنى كلامى ولا أتفاهم معه على أى شىء وأنهـيت دراسـتى الجـامعـيـة وسط هذه الظروف العصيبة ، وطـلب أهل خطيبى بالحاح إتمام الزواج على أساس أنه الحل الوحيد لتهدئة أعصـابه ، حيث إنه يشعر بالغيرة علىّ من كل شىء ، ووافق أبى على ذلك ، لكنه وبسبب ما لاحظه من عـصبيته الشديدة توجه إلى الطبـيب الذى أجرى له الجراحة فى مسـتشفى المعادى ليستـفسر منه عن حالته ، وأبلغه الطـبيب أنه قد أجرى له عمـلية اسـتئـصال جزئـى لفص التفكيـر الأيمن فى المخ وأن من النتائج المتوقعة لمثل هذه الجراحة .. العـصبية الشديدة ، ولهذا فقد طلب من والده عقب الجراحة .. أن يعـرضه على أحد أساتذة الطب النفسى لتـخفيف آثار الصـدمة ونتائج الجـراحة عنه ، لكن الأهل لم يفعلوا ذلك حرصا على سمعته !

ومضى والدى بالرغم مما عرفه فى اتمام اجراءات الزفاف وشراء الأثاث والجهاز ، وفوجئنا بخطيبى يأتى إلينا ليبلغنا بأنه استأجر شقة لتكون عشا للزوجية بدلا من الإقامة مع والدته كما كان الاتفاق السابق .. ورحبنا بذلك وذهبت مع والدى ووالدتى لرؤية الشقة فلم نسترح إليها وحدثت مشكلة عائلية كبيرة لأن أسرة خطيبى كانت قد وقعت العقد ودفعت المقدم وصدرت عن خطيبى خلال ذلك تصرفات وألفاظ أزعجت أبى بشدة حتى إنه قرر لأول مرة عدم اتمام الزواج ، إلا أن الأهل تدخلوا وضغطوا عليه وأقنعوه بأن كل ما صدر عنه خارج عن إرادته ، وأنه ليس من المصلحة أن تصبح ابنته مطلقة بعد عامين من الارتباط خوفا من كلام الناس .. الخ . ورضخ أبى فى النهاية بعد اعتذار خطيبى وأهله عما حدث .. وفى حفل عائلى تم الزفاف وبدأت المأساة الكبرى فى حياتى التى مازلت أعانيها حتى الآن .. وبغير الدخول فى تفاصيل مخجلة فلسوف أقول لك فقط إن أبى قد رحل عن الحياة بعد زفافى بيومين بأزمة مفاجئة ، وأن زوجى بدأ يستسلم لنوبات العصبية الشديدة من الأيام الأولى لزفافى الذى لم يتم فى الحقيقة حتى إنه قد ضربنى بعد ١٥ يوما فقط من الزواج وسالت الدماء الغزيرة ، حين ضرب كوب الماء بيده فتناثرت أجزاؤه وتطايرت الدماء على الجدران والسقف كأننى فى أحد مشاهد أفلام الرعب المخيفة .. ثم بعد قليل راح يعتذر لى ويعدنى بعدم تكرار ما فعل ويطلب تكتم كل شىء .. ولقد تكتمت بالفعل ما أعانيه وصبرت عليه غير أن والدتى رأت بالمصادفة علامات الضرب على جسدى وسألتنى عنها فانهرت واعترفت لها بكل

شيء ، واصطحبتني أمـي إلى طبيبة أخصـائية لعلاجي .. ووقف أعمامي بجـواري وطلبوا من أسرة زوجي الطلاق خـاصة بعد أن استفسـروا عن حـالة زوجي لدى الطبـيب الجـراح لكن والدتي خشـيت من كلام الناس عن الفتـاة التي تزوجت فمـات أبوها بعد زفافـها بيـومين فـجأة ، وطلقت بعـد رحيله عن الحيـاة بأقل من شهر ، واتفقت مع والدة زوجي على عـودتي له بشرط أن تستمر هي في علاجـه ، وأن تتعهـد لها إذا لم ينجح العلاج بأن تعـيدني إليها كمـا أخذتني منها عذراء لم يمسسـهـا بشر لكي أستطيع بدء حياة جديدة في مكان آخر .

وتعـهـدت والدة زوجي لأمي بذلك ، غـيـر أن الأمـور تطورت للأسف في اتجاه مخـتلف ، فلقد اصطحبتني حـماتي بعد أيام من عودتي إلى طبـيبـة تعرفهـا لأمراض النسـاء والولادة لـلاطمئنان عليّ كمـا قالت لي ، وذهبت مـعها بحـسن نية فمـا إن رقدت على سرير الفحص ، حتى فوجئت بحماتي تجثم فوق صدري لتمنعني من الحركة ، وإذا بالطبـيـبة - سامحها الله - تقضـي على مـستقبلي باتفاق مسبق مع والدة زوجي .. وفي نفس الليلة حملت في طفلي الوحـيد وأنجبـته بعـد تسعـة أشهـر ، وفرحت به رغـم الأحزان المحيطة ، وخـيبـة الأمل في كل شيء ، ومضت الأيام حـافلة بكل ما لا ترغـبه عروس شـابة لنفسهـا ، حتى اكتـملت سبع سنوات تجـرعـت خـلالهـا كـل أنواع الإهانة من زوجي ومن أهـله الذين عاملوني أسوأ مـعاملة هم أيضا لضيقـهم بحالة ابنهم علاوة على عصـبيتـه التي زادت على كل حد والضـرب ولم أكن أفعل شيـئا لدفع هذا الظلم عني سوى اللـجوء إلى بيت أمي غاضبـة من حين

لآخر حـتى أمضـيت نصف فتـرة زواجى تقريبـا فى بيتـها ، ثم انهارت أعصـابى تماما فى النهاية وتعرضت لمحـاولات مقززة من بعض الأشخاص القـريبين من زوجى وأسرته لدفعى لـلخطأ غير أن الله سبحانه وتعالى قد حمانى منه ومنهم .

وزادت الإهانات من جانبه ومن جانب أهله وتضاعفت المعاناة ، وذهبت معه إلى عدد كبير من أطبـاء الأمراض العضوية والنفسية الذين كانوا يطلبون بعد عـدة جلسات مع زوجى رؤيتى والحديث معى عن حالته ، فكان بعضـهم يفعل ذلك بإخلاص وأمانة .. وكان البـعض الآخر للأسف يغـازلنى اعتـمادا على مـا يعلمه عن حـالة زوجى .. وتداخلت عوامل كثـيرة نفسية وصحـية لا تفى الكلمات مهما حـاولت بوصفها ، وفقدت ما بقى من قـدرتى على الاحتمال فـانفصلـت عن زوجى وتنازلت له عن كل حـقوقـى وعن الشقـة بالرغم من أنى حـاضنة لطفلى وتحملت مسـئوليـة الطفل وحدى ومـضى عـام وبعض عـام اسـترددت خـلالهـا بعض صـحـتى المتـدهورة ، وبعض مـعنوياتـى المنهـارة ، ثم بدأ زوجى السـابق يطالبنى بالعـودة إليه مرة أخـرى مؤكـدا لى أنه قد تغـير وأنه لن يهدر كرامـتى مرة أخرى وأنه .. وأنه .. الخ . ومن جانـبها راحت والدتى تضـغط علىّ للعودة إلـيه والرجـوع إلى شقـتى الجمـيلة حفـاظا على ابنى .. الخ .. وأنا تائهـة وحائرة ولا أستطـيع اتخاذ القـرار السلـيم .. إننى لا أنكر على زوجى السـابق أنه طيب وأن تصرفـاته التى أشكو منها ترجع إلى عـصبيـته الشديدة وحـالته الصحية ، كـما أنه ميسور إلى حد مـا ، لكننى لا أعرف ما أفعل .. ولست على ثقـة بأن كل مـا عـانيـته طوال سـبع سنوات سـوف

يختفى بجرة قلم إذا رجعت إليه ، ولقد رحل أبى عنى وعجزت عن التفكيـر واتخاذ القرار الصحـيح .. وأرجو أن تعتـبرنى ابنتك وأن تشـير علـىّ بما يشيـر به الأب على ابنتـه فى مـثل هذه الظروف الدقيقة .. وشكرا لك .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

لك بعض العـذر يا ابنتى فى عـجزك عن التـفكير واتخـاذ القـرار السليم فـى الاخـتـيـار الذى يواجـهك الآن .. ليس لأن الاختيار صعب ومحير وتتشابه فيه البدائل على نحو يصعب معه اختيار الأصلح منها ، وإنما لأن والدك قد عودك أن يتولى هو « التـفكير » بالنيـابة عنك واتخاذ القـرارات المصيـرية لك بغيـر أن يكون لك شأن كبـير أو صغيـر فى اختيـارها .. فإذا كان قـد أحسن إلـيك بتنشئـتك على القيم الدينيـة والفضـائل والنفور من الخطأ والخطيئة ، فـلقد أضر بك للأسف من حيث لم يرغب بحنوه الزائد عليك وحـرصه الشـديد على أن يجنبك مئونة الاختيار لنفسك ، وليس أسوأ من تخلى الآباء والأمهات عن مسـئولياتهم المادية والمعنوية عن أبنائهم وتركـهم للغرق فى دوامـة الحـيـاة إلا مصـادرة الآباء والأمـهـات لحق هؤلاء الأبناء فى التـفكير والاختـيار واتخـاذ القرارات المصـيرية فى حياتهم بالاستعـانة بحكمة الأهل .. فكلا الأمرين شطط يخرج عن جادة الاعتدال ويعرض الأبناء للضياع فى معركة الحياة . وليست مـهمتنا كـآباء وأمهات أن « نفكر » نحـن بالنيابة عن أبنائنا فى حـياتهم ، وأن نتـخذ لهم قـراراتهم المصيـرية دون مشاركة منهم فيها ، وإنما أن نغـرس فيهم إلى جانب الفضائل

والقيم الدينيـة القدرة على التمـييز بين الخيـر والشر ، وبين الصواب والخطأ .. والقدرة على « التفكير » في شئون حياتهم واتخاذ القرارات المناسبة بشأنها فيما يواجهونه من اختيارات واختـبارات خلال رحلة العـمر ، فالعضـو الذى لا يستخـدمه صـاحبـه من أعـضـاء الجسم يضـعف ويتـدهور بأسـرع من العضو الذي يتكرر اسـتخدامه والاعتمـاد عليه ، وكذلك إرادة الإنسـان وقـدرته على ممارسـة المسـئوليـة عن نفسـه وعن الآخرين وممارسة حق الاختيار والتـفكير .. غير أن هذا العمل السلبي ليس وحـده المسئـول عن حـيرتك الآن .. فلقـد تداخل معه عامل آخر في صنع مأساتـك ، هو التحرز المغالى فيه ضد كلام الناس والخـوف الزائد من ألسنة السوء .. وبـسبب ذلك تراجع والدك عن الالـتـزام بقـراره بعـدم اتمـام زواجك قـبل الزفاف ، بعدما لمسه عن قرب من تصرفـات خطيبك وعصبيته الشديدة وتجاوزاته الصارخة خلال أزمة شقة الزواج ..

وإذا كـان موقـفه فـي المستـشفي حـين أكـد لوالده أنه لن يتخلى عنه مهما حـدث له من عوارض الحياة ، مما يحسب له ولشهـامتـه وأصالته وإيمـانه الصحـيح بأنه لا ذنب لمثل هذا الشاب في أقداره المؤلمة ، فإن موقفه حين تراجع عن قرار عدم اتمام الزواج بدعوى الخوف من كـلام الناس ، لهو مما يحسب عليـه وليس له أو لحكمتـه وبعـد نظره ، ذلك أنه لو كان قـد تمسك به وقـد لمس بنفسـه تجاوزات الشـاب واجتـراءه على الغير حتى ولو كان لحالتـه الصحية أثر في ذلك ، لأعفاك من كل هذا العذاب الذى تجـرعته عـلى مدى سبع سنوات عـجاف

في حـيـاتك ، وأثمـر هذا الطـفل الحـائر المحـروم من نشـأته الطبيـعية بـين أبويه .. كما أن والدتك ـ لو لم تـكن قد تأثرت بهذا العامل السلبي نفسـه وهو المغالاة في التحسب لما سوف يظنه بنا الآخـرون ـ لـتمسكت بانفـصـالك عن زوجك بعـد اكتشافها ضربه وإيذاءه لك في الأيام الأولى من الزواج ، حتى ولو كـان الأمر قـد تطلب منهـا أن تسـتـضـيـفك لديهـا بضعـة أسابيع بدعوى تـهـدئة الحـال .. لتطيل أمد الزواج نسـبـيا قبل الانفصـال ونحن مطالبون بالفـعل بالحرص على سمـعتنا .. وبأن نتـجنب الشـبـهـات ونكف ألسنة الغـيـر عنا بالالتـزام بالطريق القويم في الحياة ، لكن هذا الحرص الحميد لا ينبغي له أن يتجاوز الحـدود الآمنة .. لكيلا نعلق سعادتـنا وحياتنا على أطراف ألسنة الغـيـر ، وندعـهم يقودون حـياتنا ونعـجز نحن عن اتخـاذ القرار السليم الذي تفـرضه الظروف القـاهرة علينا حـين تدعـو الحاجـة إلى ذلك . والطريق إلـى جهنم قـد يكون مفـروشا في بعض الأحـيان كـما يقول المثـل الانجليزي بالنيات الطيبة ، وليس أدل على ذلك من أن والدتك بدلا من أن تعينك عـلى القرار الصحـيح قد وثقت بحـسن نية في تعـهد والدة زوجك لهـا بأن « تعـيـدك » إليـهـا سـالمة إذا لم ينجح العلاج مع ابنها المحكوم بأقداره ، كـما أنك أنت أيضا قد ذهبت بحسن نية معها إلى الطبيـبة بدعوى الاطمئنان عليك فإذا بها تدخـر لك أمرا آخـر أسـهم للأسف في تعقـيـد المشكلة وإطالة سنوات العـذاب .. والآن فـإن والدتك تضـغط عليك من جـديد للعودة إلى زوجك السابق من أجل شـقتك الجميلة ، ومن أجل

ابنك .. إلخ وأخشى أن يكون قد أضيف إلى العوامل السـابقة التى شاركت فى صنع تعـاستك عامل آخر لا يخلو من شـبهة الاعتبار المادى والرغبة فى التخفف من بعض الضغوط المادية بالنظر لمسئوليتـك عن طفلك الوحيـد .. ومن خبر طريـقا فلم يؤد به من قـبل إلى الغـاية التـى ينشـد بلوغـهـا ليسَ من الإنصاف لنفسه أن يحاول اختباره مرة أخرى مؤملا أن يؤدى إلى غاية أدرك بالتجربة أنه لا يقود إليها . ولهذا فإنى أدعوك إلى اسقاط كل هذه العوامل السابقة من اعتبارك وأنت تفكرين فى الاخـتيـار لحـياتك مـرة أخرى بعـد كل مـا جرى وكـان ، وأطالبك انصافـا لنفسك بأن يكون العامل المؤثر الحقـيقى فى قـرارك بالعـودة أو رفضـهـا هو هل حـدث بالفعل أى تـغـيـر إيجابى حقيقى فى شخصيـة زوجك السابق وحالته العصبية وظروفه الـصحـيـة .. أم لا ؟.. وهل انتظم فى العلاج الـنـفسى والعصـبى والعضـوى خلال الفـترة الماضـية وحقـق العلاج نتائج إيجابية طيبة أم لا ؟.. وهل أصبح أكثر قدرة على تمالك نفسه وأعصـابه وكف لسانه عن الأذى والإهانات ، وتعلم من تجربته أن يحسن عشرة من تتحمل ظروفه أم لا ؟.. ثم هل هو بعـد كل ذلـك ، على اسـتـعـداد لأن يطمـئنك علـى تحـسنه باصطحابك مع والدتك إلى الأطباء المعالجـين له لتسمعا منهم شهادة مـحايدة عن حالته العـصبية والعـضوية ؟.. هذه هى العوامل الأولى بالاعتبار فى قـرار العودة .. إلى جانب العامل الآخر المحـورى وهو مصلحة هذا الطفل الحـائر بالطبع .. أما الوعود والكلمات التى لا يصدُّقها العمل فإنه لا يمكن الاعتماد

عليهـا فى مثل هذه الظروف ، بل إن الله سـبحانه وتعـالى قد يحاسـبنا على الانخداع بما سـبق لنا أن انخدعنا بـه من قبل بغير أن نتـعلم من تجربتنا معه ، ونـحترس له .. والحق أن هناك ما يثـير الريبة لدىّ فى أن بعض تصرفـات زوجك معك وإهاناته لك لا يمكن ارجـاعـهـا كلها إلـى حالتـه العـصـبيـة والصحية ، ذلك أن العصبية المرضية إذا كانت تتمثل فى سرعة الاستثارة والانفعـال والغضب ، فإنها لا تعنى بالضرورة إيذاء الغير وإهانتـهم .. وإلا فلماذا لا تتوجه هذه العصبـية المرضية إلى الغرباء الذين يتحـسب العصبيون لـردود فعلهم تجاههم ، فلا تتجاوز عصبيـتهم معهم أبدا الخطوط الحمراء إلى الضرب والعدوان والإهانات الجارحة ؟!

إن المؤسف هو أن مـثل هذه الـعـصـبـيـة حـتى ولو كـانت لأسباب مرضية ، تتوجه فى الأغلب الأعم لمن يعرف أصحابها أنه لن يرد علـيـهم الـعـدوان بالـعـدوان ، ويشـجع الضـعف والاستكانة وقلة الحيلة أصحابـها على التمادى ، مما يدفعنى لأن أشك فى أن بعض مظاهر عـصـبـية زوجك السـابق مـعك وإهاناته لك إنما تتـداخل فيـها أسـباب أخـرى تتعلق بـسوء الطبع والاستضـعاف ، وشىء من الاحساس بالتـمايز الطبقى أو المادى عليك مع تـقديرى لـلاعتـبـارات الأخـرى المتـعلقـة بظروفه الصـحية أعـانه الله عليها ولهـذا فهو يحـتاج إلى أن يراغم نفسـه على أن يـصلح من أمـره .. ويحـسن عـشـرتك ويعينك بذلك على التجـاوز عن الانفلاتات العصبيـة الراجعة لحالته المرضية ..

فـفكرى يا ابنتى فى أمرك بـنفسك . ولا تدعى أحـدا غيـرك يفكر لك ، ولا تغامـرى بالاستجابـة للضغوط قبل أن تتـيقنى من أن تغيـرا إيجابيا حـقيقـيا قد حـدث فى شخصـية زوجك السابق وحـالته الصحية والعـصبية وطبـاعه .. ونظرته لك وللحياة .. فإن لم تطمـئنى لذلك .. فلا داعى لتكرار التجربة .. وتكبد العناء عامين أو ثلاثة أعـوام أخرى ترجعين بعدها إلى بيتك وعلى ذراعك طفل محروم آخر ..

سر التحول!

أنا رجل فى الرابعة والأربعين من عمرى .. تزوجت منذ ستة عشر عاما من إنسانة طيبة ، كانت أختا لصديق لى ، وكان والدى يحب صديقى هذا من بين كل أصدقائى فرشح لى شقيقته للزواج منها قبل أن يراها .. ورحبت أنا بهذا الترشيح قبل أن أتحدث معها أو أعرفها عن قرب ، وتزوجنا وأقمنا فى البداية مع والدة زوجتى .. ثم انتقلنا بعد فترة إلى شقتنا التى أعددناها لتكون عشا للزوجية وانتقلت والدتها معنا حيث كانت تستريح للإقامة بيننا ، وأنجبنا طفلنا الأول ، وبعد مجيئه إلى الحياة رفضت زوجتى الانجاب مرة أخرى وتمسكت بذلك لمدة ثمانى سنوات كاملة إلى أن أقتنعت بضرورة انجاب شقيق أو شقيقة أخرى لابننا الوحيد ، فانجبنا طفلنا الثانى وبلغ من العمر الآن سبع سنوات ، ومنذ الأيام الأولى لزواجنا ملكت علىّ زوجتى قلبى وعقلى وكيانى بأخلاقها الكريمة وطيبتها وأصالتها ، حتى أصبحت بعد فترة قصيرة من الزواج أهيم بها حبا ، ولا أضع أية إنسانة أخرى فى الوجود موضع المقارنة معها ، وأحرم على نفسى مجرد النظر إلى غيرها من النساء ، أما هى فلقد اعتبرتنى أيضا كل شىء فى

حياتها ، وملكت عليها أنا كذلك قلبهـا وعقلها وكيانها ، حتى كانت تتصل بى فى عـملى من عملها لتـبثنى شوقـها وافتـقادها لى فى الساعـات القليلة التى فصلت بـيننا .. ومضت بنا الحـياة سعـيدة وجمـيلة وهادئة على هذا النحـو .. وأنا لا أقصـر فى بذل الجـهد لارضاء زوجتـى وتخفيف الأعبـاء عنها ، فكنت مهمـا تأخرت فى العمل ليـلا أحرص على الاستـيقاظ فى السـادسة صباحـا لاعداد الشطـائر للولدين . والافـطار لزوجـتى .. ثم اصطحب الـولدين للمدرسة وأترك سـيارتنا الصغيـرة أمام مدرستـهما وأهرول إلى عملى ، وعند انتهاء الـدراسة أرجع إليهما فأصطحبـهما ثم أتوجه إلى عمل زوجتى وأصطحبها إلى البـيت ونرجع معا ، فلا استريح سـوى لحظات ثم أهرول عـائدا إلى عـملى ، هذا بخـلاف قيـامى بشراء كل مستلزمات البيت .. والاستجابة لرغبة زوجتى ووالدتها فى شـرائها من أماكن مـحـددة بعيـنها على مـسـافـات بعيـدة ومخـتلفة ، فـالخبز لابد مـن إحضاره من فـرن خاص يبـعد عن منزلنا ١٢ كيلومـترا بالسيارة ، واللحم لابد من شـرائه من جزار بعينه على بعد ١١ كـيلومترا فى اتجاه مختلف .. والبـقوليات من مـحل محـدد على مسـافة ١٥ كـيلومـترا ، وكـذلك الخضـراوات والدجاج والأسمـاك والبقالة كل منها من مكان مـعين لا بديل له ، حتى الميـاه الغازية كان لها أيضـا مكان أفضل من غيره لشـرائها منه ، مع أنها تعبئـة واحدة ومن خط انتاج واحد ، لكنى رأيت ذلك يرضى زوجتى ووالدتها فكنت اسـتجيب لما تطلبان وأحضـر لهما ما تريدان من الأماكن التى يفضلانها إلى جـانب تحملى مسئولية نظافة الشقة وحدى ومعاناتى فى سداد أقساط شقة أوسع نخطط

للانتقال إليها ، واختلاف مواعيد نومى تبعا لتغير ورديات العمل ، ثم بدأت فى الفـترة الأخـيرة ألاحظ إهمال زوجـتى لى وتجاهـلها على غيـر سابق عادتهـا لغضبـى إذا غضبت منهـا لأى سبب من الأسباب العابرة وتركها لى دون سؤال عن سبب غضبى وانفعالى إلى أن أبدأها أنا بالكلام والعـتاب ، كمـا بدأت تتجاهل مـحاولاتى الخفية للحديث معها فى أى شـىء ، بكبرياء راح يتزايد مع الأيام ، فإذا انتـهى هذا التجـاهل بانفجـارى فيـها وسبـابى بكت وراحت تشكو من أنها مظلومة وأننى دائم العصـبية بلا سبب ، ثم يتدخل شقيقاها ويسمعان منهـا ومن والدتها ومنى ، فيجدان اللوم واقعا عليها لتجاهلها لى وتركهـا الأمور حتى تصل إلى حافة الانفجار ، وقد تكرر هذا الموقف منذ أربعة أشهر ، وجاء شقيقها فشـهدت لى والدة زوجتى بأنـنى لم أقصر فى حـقها فى شـىء بـل إننى حتى فى حالة الخصـام أعد لها طعام الافطار وأحضـرها بالسيارة من العمل ، فلام شـقيقـته وغضب منها . وانهارت هى ، ثم اتفقت مع شقيقها على أن أترك لها البيت فترة إلى أن تهدأ أعصابها وانتقلت إلى بيت والدتى ، وأمضـيت به ثلاثة أيام ، مرت علىّ كـأنها ثلاثة أشـهر دون أن يسـأل عنى أحـد من زوجـتى أو أبنائى فـاتصلت بشقيقها واقتـرحت عليه أن أرجع إلى بيتى وأن تنتقل هى للاقامة لديه لبعض الوقت حرصـا على انتظام الأبناء فى الدراسة وإلى أن ترجع المياه إلى مجاريها بيننا ، ورجعت للبيت وفوجئت بأن والدة زوجتى قـد غادرته مع ابنتـها وكنت قـد طلبت بقاءها مـعى ومع الأبناء ، وبعد يومين جاء شقـيق زوجتى ليبلغنى بإصرار زوجتى على الانفصال وطلب الطلاق ، وانهرت حين سمعت ذلك ورفضت

بشدة وطلبت منه التروى لأنه ليس هناك ســبب جدى يدعو إليه ، وكثيرا ما تشهد الحياة الزوجـية خلافات أكبر من ذلك ثم تستمر وتتـواصل بلا عناء .. لكن كل المحـاولات مع زوجتى لاثنائهـا عن رغبتها المفاجئـة فى الطلاق باءت كلها بالفشل ، ومنذ أربعة أشهر لم يمض أسـبـوع واحـد دون أن أرسل إليـهـا فضـلاء الأقـارب والمعارف للتـوسط بينى وبينها لاقناعـها بالعـودة دون جدوى .. وقد تركت الأبناء طوال هذه الفتـرة معى وهى تعلم ظروف عملى التى تضطرنى لتـركـهم فى الليل فى كثـيـر من الأحيـان ، ومنذ أسـابيع جاءت إلى الـبيت وطلبت منـى الطلاق وهددتنى بأنى إن لم استـجب لطلبـها فـإنها سـوف تنتحـر ، وطلبت من ابنيـها أن يقنعانى بطلاقهـا وإلا فإنها سوف تنتحر .. ويعـيشان وأعيش أنا وهمـا ونحن نحـمل ذنبـها فى أعناقنـا ! وانهار الولدان بـاكيـين واحتـضنتهـما وهدأت من روعـهمـا لكنهمـا مرضا بعـد ذلك لمدة ١٥ يوما لم يرق خلالها قلبها لهما أبدا !!

لقد بكيت كثيرا يا سيـدى أمام أبنائى وأنا أتعجب لهذا التحول الغريب فى مشاعر زوجتى تجاهى وتجاه أبنائها ورغبتها الشديدة هذه فى الطلاق .. وشاركنى شقيقاها ووالدتها التعجب لهذا التغير ولعـدم سؤالهـا عن ابنيـها ولعـنادها وجفـائهـا واتفقـوا على أن ما حدث لا يسـتحق الطلاق ولا يدعو إليه ، حـتى لقد توسط بيننا رجل دين كبير له مقام جليل عند الجميع وطلب منى الصبر عليها وتحملهـا إلى أن تهدأ أعصـابها ونصحنـى بعرضهـا على الطبيب النفـسى لعله يسـتطيع مـسـاعدتهـا .. لكنهـا مـازالت ترفض كل المحاولات والمساعى ، وإنى اسألك لماذا يبيع الإنسـان عشرة العمر

والأبناء هكذا ولأسباب يمكن معالجتها والتغلب عليها ؟

لقد رميت نفسى بالخطأ .. دون أن أخطىء وراجعت نفسى وتعهدت بضبط النفس والتحكم فى الأعصاب والتوقف عن أى شىء يغضبها وأرغب بشدة فى الحفاظ على البيت والأبناء ، لكنها ترفض كل ذلك وتقول إنها لم تكن سعيدة معى وتروى أشياء صغيرة من تراكمات ١٦ سنة من الزواج كنت قد نسيتها تماما ولا أراها تستحق أن يتذكرها أحد .. لكنها تحفظها عن ظهر قلب وتعيد روايتها بتفاصيلها العجيبة ولا تقتنع بكلام الأهل والأقارب والأصدقاء .. وتصر على أن تفقد أكثر ثلاثة أشخاص فى الوجود يكنون لها كل الحب والاعزاز وهم أنا والولدان ، فماذا أفعل لكى أستعيد زوجتى وسعادة ابنىّ واستقرارهما .. إننى لست ممن يبيعون العشرة بسهولة حتى ولو باعتها زوجتى ، ومازلت آمل أن يهدىء الله النفوس ويفتت هذا الحجر الصلد الذى تكون داخل صدر زوجتى حتى ما عادت تهتم برؤية الولدين وتصرح بأنهما إذا كانا لا يريدانها فإنها هى الأخرى لا تريدهما .. فهل تستطيع لى شيئا يمنع هذا البيت من الانهيار ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

إن لم أستطع لك شيئا وقد فشلت كل الجهود والمساعى بما فيها جهود رجل الدين الجليل الذى أشرت إليه فى اقناع زوجتك بالتنازل عن رغبتها العنيدة فى الانفصال عنك ، فلعلى استطيع على الأقل أن أفسر لك بعض ما غمض عليك فهمه من سر تحولها « المفاجىء » عنك وقد كنت تظن كما

تقول إنك قد ملكت عليها قلبها وعقلهـا وكيانها كما ملكتها هى عليك بالفعل .

« فـالحـجـر الصلد » الذى تقـول إنه قـد تشكل فى صـدر زوجتك كغيره من الأحجار الجيرية يتكون من ذرات صغيرة ، تتجمع فى البداية حول نواه أوليـة ثم تتراكم عليها الإضافات الجديدة يوما بعد يوم .. فتتمـاسك معها ، وتلتحم بها وتزداد صلابتها على مر السنين إلى أن يأتى وقت يتعـذر فيه تفتيتها وإزالتها إلا بقوة ضاغطة هائلة .

وآفة الـعلاقات الـزوجية فـى كثيـر من الأحيـان .. هو أن طرفـيهـا أو أحدهمـا قد لا يبـادر بإزالة هذه الذرات الجيـرية الضئيلة فى بدايتها ، مستـعينا على ذلك بالرغبة المشتركة فى السـعـادة وانجـاح الحيـاة الزوجـيـة .. وروح التـسـامح .. ونسيـان الاساءات الصغيـرة ، فتكون النتيجـة هى أن تتراكم هذه الذرات تحت السطح ، وتسـتقبل المزيد والمزيد ، وتسـاعد الذاكرة غير المتسامحة على اخـتزانها والحفاظ عليها .. إلى أن تأتى لحظة فاصلة يشعر فيها أحد الطرفين وكأن حجرا هائلا قـد جثم فـوق صـدره وحال بينه وبين الـتواصل مع شـريك حياته ، فإذا كـان من أهل العطاء وإنكار الذات من أجل سعادة الأبناء تجـرع علقم الانـفـصال الـروحى عن شـريكه صـابرا ورضى بحـياته كـمـا هى عليـه مفـضلا سـعـادة ابنائه على سعـادته ، وإذا كان من طالبى السعـادة الشخصـية ولو على حـســاب أمـان أبنـائه ، فـوجىء الطرف الآخـر بتحـوله « المفاجىء » وإصـراره عـلى الانفصال عنه فـوقف أمـامـه

ذاهـلا وعاجـزا عن الفهم والتفسـير !

والخلاصة هى أننا لا نحسن فى بعض الأحيان فهم دخائل نفوس شركاء الحياة وحقيقة مشاعرهم تجاهنا وتجاه الحياة المشتركـة التى تجمع بيننا ، ونظن فى أحيـان عديدة أن ركود سطح الماء فى بحيرة الحياة يعنى صفاء الجو وخلو القاع مما يمور فـيه من تيارات متـضاربة ودوامات عنيفـة واحسب أن هذا هو ما حدث فى حـياتك بالرغم من أن زوجات كثـيرات قد يغبطن زوجتك على شريك محب ، متعاون ومعطاء مثلك يعد الشطائر لأبنـائه والإفطار لزوجتـه فى الصـبـاح .. وينظف البـيت دونها . ويجـوب شوارع المدينة طولا وعـرضا لشـراء احتياجـاتها من أماكن محددة على مسافات بعـيدة وتشهد له حتى والدتهـا بأنه لا يقصر فى اداء واجباته تجـاهها ولو فى حالات الخصام معها ..

إذن ما هى المشكلة يا صديقى ؟

المشكلة هى أن زوجـتك هى التى ملـكت عليك قلبك وعـقلك وكـيـانك طوال السنوات الماضـيـة وإنك لم تملكهـا بنفس هذا القدر ولا ببعضه .. أو حتى بشىء منه .. والحب كالدنيا التى قال عـنها الإمـام على بن أبى طالب كرم الله وجـهه إذا أقـبلت على إنسـان كسـته محـاسن غيـره ، وإذا أدبرت عنه سلبـته محاسن نفسه !

ولقـد أدبر عنك حب زوجـتك لك فـسلبك للأسف مـحـاسن نفسك ولم يكسـك مـحـاسن غـيـرك ، وأسـهـمت الانفـلاتات العصبية والذاكرة « الحـافظة » لزوجتك فى تضخيم العيوب

حتى عدَّتها « خطايا » لا يجوز التجاوز عنها ، مع أنه لا يخلو إنسان على وجه الأرض بمن فيهم زوجتك من قدر من العصبية والانفعالية فى بعض الأحيان .. لكن الحب قلب غفور .. والكره قلب حقود لا يغفر ذنبا ولا ينسى إساءة ، وهكذا راح الحجر الصلد يتشكل تحت السطح ببطء إلى أن جاءت اللحظة الفاصلة وانفجر الموقف بينكما ..

فأما هذه اللحظة الفاصلة فالله سبحانه وتعالى هو وحده من يعلم إذا كانت هناك « أسباب خارجية » قد عجلت بظهورها إلى السطح أم لا .. غير أن ظاهر الأمر وإصرار زوجتك على الطلاق إلى حد التهديد بالانتحار ومطالبتها لابنيها بإقناعك به .. كل ذلك يوحى بأن الأمر لم يعد تجدى معه أى محاولات للاقناع أو المناشدة .. وفى ظنى أنها لن تتنازل عن تمسكها بطلب الطلاق .. مهما فعلت أنت أو تمسكت بها وتذللت لها لكى تقبل بالعودة إليك وفى كل الأحوال فإنك لا تستطيع أن تمسك عليك زوجة كرهت الحياة معك ولم تقدر لك كل ما قدمت لها من حب وتضحية وعطاء على مر السنين ، وبلغت بها كراهيتها لهذه الحياة أن ضحت فى سبيل الخلاص منها ، بسعادة ابنيها واستقرارهما وحبهما لها .. والمرأة إذا بلغت هذا الحد من الاصرار على رفض حياتها الزوجية ولو ضحت فى سبيل ذلك بمشاعر ابنائها تجاهها ، فإنه لا يعدل بها عن هذا الإصرار شىء ، ولا هو من الحكمة إرغامها فى مثل هذه الظروف على القبول بحياتها الزوجية مرة أخرى .. لأن ذلك لن يعنى فى الأغلب الأعم إلا الحفاظ

على شكل الأسـرة دون جوهرها .. وقـد يفـتح الباب لشـرور وآثام أخرى .

فإذا كنت أقـدر لك حرصك على ابـنيك وأسرتك ومحـاولتك المخلصة لانقاذ حياتك الزوجية من الانهيار ، فإنى أذكرك على الناحية الأخرى بأنك قد أديت واجـبك فى السعى للحفاظ على أسرتك ورأب صدعها وحماية استقرار حياة أبنائك ، لكن ليس كل ما يرجـوه الإنسان لنفـسه يسـتطيع أن يحقـقه لهـا حين يتعلق الأمر بارادة طرف آخر لا يشاركه مثل هذا الحرص على الحياة الزوجية وهذه الرغبة المخلصة فى استمرارها وانقاذها من الانهـيار فـلا تمتـهن نفـسك أكثـر من ذلك يا صـديقى فى استجـداء عودة زوجتك لك ولابنيهـا ، وأقبل بما ليس منه بد - ولو مـؤقتـا - عسى أن تعلمـها الأيام مـا لم تكن تعلم .. أو يعوضك الله عنها وعن حياتك السابقة معها خيرا كثيرا ..

الزلزال المدمر!

قرأت رسالة « الأرض العطشى » للزوجة التى تشكو من انشغال زوجها عنها بأبحاثه ودراساته فكان من أمرها أن بدأت تشعر بالضعف تجاه أحد زملائها بالعمل وتستجيب لكلمات الاعجاب والعاطفة التى يبثها لها .. كما قرأت أيضا ردك الصادق عليها ونصيحتك المخلصة لها بألا تنسى التزاماتها الدينية والخلقية وأن تحاول أن تبعث الدفء فى علاقتها بزوجها وتوقف كل اتصال بينها وبين زميلها هذا الآن وعلى الفور قبل أن تنجرف خطوة أخرى فى الطريق المنحدر حيث تقودها كل خطوة عليه إلى أخرى أكثر انحدارا ولا يكون الرجوع منه أبدا بغير خسائر جسيمة على الجبهة الأخلاقية والعائلية والإنسانية . وأريد أن أروى لهذه السيدة قصتى التى قد لا يجرؤ رجال كثيرون على أن يرووها لغيرهم لكى أسهم معك فى تبصيرها بما تفعل ، وهى مازالت على رأس المنحدر .. وقبل أن تخطو خطوات أخرى على طريقه المائل . فأنا رجل فى الخمسين من عمرى متزوج ولى ثلاثة أبناء ومن مستوى اجتماعى ووظيفى متوسط ، ومنذ اليوم الأول لزواجى احبتنى زوجتى حبا ملأ عليها كل كيانها وأحببت

أنا زوجتى الجميلة بكل مشاعرى ، وسعيت دائما إلى إرضائها وإسعادها .. وأشعرتنى هى علىَ الدوام بثقة شديدة فى نفسى ، وبحبها الكبير لى ، وأعجبنى فيها دائما إيمانها العميق بربها الذى تتكلم عنه دائما وكأنما تراه .

وتعلمت منها أن أدفع زكاة المال لأول مرة فى حياتى ، وأدينا فريضة الحج معا ، ولقد كانت زوجتى طوال رحلة زواجنا أكثر اهتماما منى وأكثر طلبا لعلاقتنا الخاصة ، ولم أكن أنا حسبما أعتقد وطبقا لملاحظاتى على غيرى مقصرا فى هذه الناحية غير أنها من فرط حبها لى كانت تريدنى كثيرا ، وتصاب بالاحباط أحيانا بسبب ذلك .

ومضت حياتنا هادئة وسعيدة بالرغم من بعض جوانب الإحباط المتبادل بيننا ، حيث كانت زوجتى لا تسعد أبدا بأى لقاءات جماعية أو مناسبات اجتماعية تجمعنا مع غيرنا ، وتفضل دائما أن نكون وحدنا سواء بقينا فى البيت أو خرجنا معا كما كانت أيضا تميل إلى كثرة النوم وتتأخر أحيانا عن القيام ببعض أعباء البيت ، غير أن القافلة السعيدة كانت تسير فى طريقها .. وكبر الأبناء وأصبحوا موضع حبنا الأكبر ومصدر سعادتنا المشتركة وباتوا مع زوجتى هم أهم شىء فى الوجود بالنسبة لى .. ثم لاحظت أن زوجتى قد بدأت تكثر من القراءة فى الكتب الدينية ، حتى أصبحت لا تقرأ سواها .. وأنها تستغرق فى التفكير الصامت لفترات طويلة ويظهر على وجهها السهوم وعلامات انشغال الفكر بهم كبير ، إلى أن جاء يوم واصطحبتنى زوجتى إلى غرفتنا لأنها تريد أن تصارحنى بشىء مهم ثم أغلقت الباب

علينا وتوجهت إليها بسمعى وبصرى .. لأعرف ماذا يشغلها .. فإذا بها تنظر إلى نظرة طويلة كسيفة ثم تغض بصرها وتقول لى بنبرة كئيبة هذه العبارة القاتلة :

– فلان ، أريد أن أعترف لك بجرم كبير .. لقد أخطأت خلال الشهور الماضية مع فلان !

وارتج علىّ الأمر لحظات فلم أفهم ماذا تقصد أو خيل إلى ذلك فسألتها عما تعنيه بقولها ذلك .. فأجابت بالعبارة التالية : كما فهمت ! فخيل إلى أن زلزالا مدمرا قد ضرب الأرض كلها وهزها هزا عنيفا من أركانها الأربعة ..

وبحثت عن صوتى فلم أجده .. وحين وجدته بعد لحظات سألتها فى خوف وإشفاق وأنا أتمنى فى أعماق نفسى أن تكون الاجابة بالنفى :

– هل ..؟ لكنها أجابت : نعم !.. وكررت السؤال ذاهلا من جديد : هل...؟ وكررت هى الاجابة القاتلة بنفس الحروف البغيضة نعم ، وأضافت إليها : وقد ندمت على ذلك وتبت إلى الله فانظر ماذا تفعل !

ومادت الأرض بى من جديد ، ورأيت كل ما بنيت خلال رحلة السنين وعشت من أجله ينهار أمامى ويتحول إلى حطام وخراب .. بيتى .. وأسرتى .. وأقرب الناس إلى قلبى . ورأيت أولادى فى هذه اللحظة بلا أم لهم بغير ذنب جنوه وعلا الطنين فى أذنى :

لماذا ! لماذا فعلت بى وبأولادها ذلك !.. وكانت الاجابة المخيفة أيضا أنه للأسف لأحقر سبب من الأسباب ..!

ولم أشعر بنفسى إلا وأنا أنهال عليها ضربا .. ولم تبد هى أية مقاومة أو اعتراض على ضربى لها .. وإنما تلقته صامتة .. ساكنة ..كأنما تريدنى أن أطهرها من إثمها بهذا الضرب العاجز ، ثم انهرت باكيا كالطفل الصغير وأنا أردد فى ذهول : أنت. .. أنت ؟

لماذ ..؟ لماذا ..؟

وهى لا تتكلم ولا تجيب ولا ترفع عينيها فى وجهى ، وفى لحظة قدرية سوداء رأيت كل القصص والحكايات والنكات التى سمعتها وتبادلتها مع الأصدقاء مازحين عن المواقف المماثلة خلال رحلة العمر تنطبق علىّ .. وليس « على الآخرين » وحدهم كما كنت أعتقد من قبل ، وتمنيت من قسوة الألم لو أنها كانت قد ماتت قبل أن يحدث ذلك ، أو لو أننى كنت قد مت قبل أن أعرفه ، ولم يعد يتراءى لى فى مخيلتى أو يتردد فى سمعى طوال الفترة التالية سوى صوتها وهى تقول لى إنها لا تعرف كيف حدث ذلك ، وإن شيئا ما خاطئا قد حدث فى عقلها فأزاغه الكلام الحلو وتركتنى هى لنفسى لكى أنظر ماذا أفعل بعد أن فتحت علىّ أبواب الجحيم على مصارعها .. وحاولت بكل ما أملك من طاقة وجهد أن أغفر وأصفح بلا جدوى .. وقرأت الكثير والكثير عن التوبة وشروطها .. والعفو الذى هو من شيم الكرام .. لكنى لم أستطع أبدا يا سيدى ولم أقدر ، وبعد فترة ليست طويلة من العذاب المرير طلقتها وتقبلت هى الطلاق فى سكون قائلة لى إنها سوف تبحث فى نفسها عن الإنسانة الصالحة التى كانتها من قبل وتستعيدها بالقراءة فى الكتب الدينية أو بالعلاج النفسى إذا تطلب

الأمر ذلك . واضطربت حياتى وحياة أبنائى اضطرابا شديدا .

وعشت فترة من أسوأ فترات العمر دامت عاما ونصف عام .. وكانت علاقتى بها خلالها حيادية وفى حدود علاقة زوجين مطلقين بينهما أبناء يهمهما أمرهم .

ولمست خلال هذه الفترة صدق توبتها وعمق ندمها على ما فعلت .. وكان سؤالها الصامت يتراءى لى دائما فى عينيها كلما التقينا : هل صفحت ؟

وبعد عام ونصف عام من الانفصال اعدتها إلى عصمتى . ورجعت هى شاكرة لكى تعوض ابناءها عما فعلته بهم ، وبالرغم من الألم الذى لم أبرأ منه أبدا منذ ذلك اليوم وسوف يدوم فى اعتقادى إلى آخر لحظة فى عمرى فإنى لم أندم أبدا على هذا القرار .

والآن وبعد ١٠ سنوات من هذا اليوم الأسود وجدت فى نفسى القدرة على أن أروى لأحد حقيقة ما حدث لى فى تلك الأيام البعيدة لكى أطلع صاحبة رسالة « الأرض العطشى » على الجانب الآخر لمثل هذه القصة التى قد تنجرف إليها .. وتتوهم أنها قد تكون قصة عابرة بلا خسائر حقيقية وأيضا لكى أسألها هل تقبل لنفسها مثل هذا السقوط ؟ وأقول لها إنها إذا خطت خطوة أخرى على هذا الطريق المنحدر ثم حاولت الرجوع منه .. فإن شيئا لن يعود أبدا كما كان قبل ذلك ، وأنا الدليل الحى على ذلك فلقد مرت عشر سنوات الآن ولم أبرأ بعد من ألم خيانة زوجتى لى بالرغم من صدق توبتها وندمها عليها والتزامها الشديد بعد ذلك ، فهل يستحق زوجها منها كل هذا الجحيم ؟ وهل يستحق شىء فى

الحياة كلها أن يؤلم أحد أحدا مثل هذا الإيلام الرهيب ؟ وهل يستحق شيء أن يحيل من أجله أى زوج أو أى زوجة حياة شريكه إلى عذاب كعذاب الجحيم لأمر عارض من عوارض الدنيا الزائلة ؟ إننى أريد أن أقول للجميع أن عليهم أن يحرصوا على شركائهم فى الحياة رجالا ونساء ، وأن يشعروهم عملا وقولا بالعاطفة ، وألا يركن أحد إلى الظن القديم بأن مثل هذه المصائب لا تحدث إلا للآخرين فقط .. كما كنت وغيرى نظن .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

لو حاضرنا ألف محاضر عن عمق ما يشعر به الرجل من ألم مكتوم ومرارة حسيرة لخيانة شريكة حياته التى يحبها ويأمن إليها ويمضى فى الحياة مطمئنا إلى صدق أخلاصها له ، لما استطاع أن يشركنا معه فى بعض ما أشركتنا أنت فيه من مشاعر وأحاسيس صادقة ومؤلمة . ولا عجب فى ذلك يا صديقى لأنه ليس المعزى كالثاكل ..

« ولا يعرف الشوق إلا من به ألم » كما يقول الشاعر .

فإذا جاز لى أن أضيف إلى ما رويت شيئا فلعلى أقول فقط إن عمق جرح الخيانة الذى لا يندمل فى نفس الرجل قد يماثله فى كثير من الأحيان عمق جرح الخيانة فى نفس المرأة المحبة لشريكها ، غير أنه قد يخفف منه بالنسبة لها أمران يتفقان مع فطرتها التى فطرها الله سبحانه وتعالى عليها .. الأول هو أن خيانة الرجل لها وإن أدمت قلبها ومشاعرها وهزت قيمها وثقتها فى نفسها ، فإنها لا تمس شرفها أو عرضها ، والثانى

أنها بطبيعتها الانثوية لا تستشعر غضاضة فى أن تبوح بشكواها من خيانة شريك القلب أو الحياة لغيرها ، وإنما تبث نجواها وهمها وتفرج عن بخارها المكتوم فى صدرها ، وتبلل الألم الجاف بالدمع .. فتتخفف من كثير من ضغوط الألم النفسية عليها فتمارس بذلك وظيفة الافضاء النفسية وترشح جرحها المؤلم للشفاء بمعدل أسرع . أما الرجل فإنه للأسباب المفهومة يخجل غالبا من البوح بخيانة شريكة حياته له ويتكبد آلامها وحيدا وصامتا ويتحفظ أشد التحفظ فى الحديث عن ذلك ، لأنه يتردد بين الشكوى منه وبين الخوف من فقد اعتباره لدى الآخرين إن هو فعل ذلك . فإذا كنت أنت قد بحت بألمك المكتوم مدفوعا برغبتك النبيلة فى إعادة كاتبة رسالة « الأرض العطشى » إلى الطريق القويم ، فلقد احتاج الأمر منك إلى عشر سنوات أو تزيد حتى استطعت - ومن وراء ستار - التنفيس عما يعتمل فى صدرك من الأحزان القديمة وجاءت كلماتك عنها مصهورة بنار الألم لتلفت انتباهنا إلى عمق الجرح وبطء الشفاء بالرغم من بعد الذكرى ، تماما كما عبر عن ذلك من قبل شكسبير العظيم على لسان عطيل حين ظن بزوجته الخيانة فانهار أمامها باكيا وهو البطل المغوار الذى خاض المعارك وجالدته السيوف وقال لها قبل أن يهم بقتلها :

- أستطيع أن أتحمل بشجاعة كل شقاء الحياة من فقر ومرض وعار وحروب لكن خيانتك لى قد حطمتنى تحطيما !

غير أنه من مواقف الحياة يا صديقى ما تدعونا ضرورة

مواصلة العيش إلى عدم السماح لها بإفساد أيامنا علينا طوال العمر ، وإلى أن ندرب أنفسنا على طرد ذكرياتها المؤلمة عن اذهاننا كلما تسللت إلينا وكدرت علينا صفو الأيام ، ذلك أن اجترار المواقف المؤلمة والأفكار المحزنة القديمة .. إنما يؤدى بنا إلى تجدد عدائنا النفسى لرموزها وأبطالها الذين يتراءون لنا فى الجوار أو يتحركون أمامنا وهم يظنون أننا قد صفحنا عنهم ونسينا لهم بالفعل ما كان من أمرهم معنا ، وإذا تجدد هذا العداء النفسى ولو للحظات فإنه لابد أن ينعكس سلبيا على تعاملنا معهم لفترة مؤقتة ويفسد علينا صفاء علاقتنا بهم .. ولقد قال أحد علماء النفس : إن الأفكار والخبرات والذكريات التى نعيشها تسجل على مواد بروتينية معقدة فى الدوائر العصبية للمخ كما تسجل الأغانى على الأشرطة والأسطوانات ، وأن تكرار اجترارنا لهذه الأفكار والذكريات المؤلمة يؤدى إلى تثبيتها ونحن فى أشد الأوقات حاجة لدواعى الصحة النفسية إلى نسيانها ، كما يؤدى أيضا إلى استثارة بعض ما يرتبط بهذه الذكريات من مواقف وخبرات مماثلة لها من الناحية الوجدانية ، ولهذا فلابد من استخدام قوة العقل فى طرد الأحزان القديمة والذكريات الأليمة السابقة ، كلما هاجمتنا .. أو تسربت من ثغرات الضعف النفسى إلينا لكى نعين أنفسنا على نسيانها وعدم التأثر بمؤثراتها السلبية فى تعاملنا مع من لا مفر لنا من التعامل معهم من رموزها ، ولأنه لا عائد لنا من اجترارها سوى الضيق النفسى والاكتئاب والتعاسة وإحياء المرارات القديمة ،

وكنا قد ظننا أننا قد برئنا منها فضلا عن أن اجترارنا لها لن يغير من الأمر الواقع شيئا ولن يحقق لنا أبدا حلم البشرية العاجز في العودة بالزمن إلى الوراء ، لكي نتفادى الأخطاء التي وقعت في الزمن القديم ونتجنب آلامها .

وأنت يا سيدى قد اخترت عن وعى وإرادة الصفح والنسيان بعد ما لمسته من عمق الندم وصدق التوبة لدى شريكتك .. وأعانك على ذلك بغير شك أنها قد اختارت الطريق الصعب الذى لا يقدر عليه غالبا إلا أولو العزم من الرجال والنساء .. فأرادت أن تتطهر من أثمها بمصارحتك به والاستبراء منه لديك ، وقد كان في مقدورها حتى لو كانت قد ندمت على خطيئتها وأقلعت عنها أن تكتم عنك أمرها فلا تعترف به أبدا إلى نهاية العمر ، لكنها أدركت من قراءاتها عن شروط التوبة الصحيحة أنه إذا كانت المعصية بين العبد وربه فهى ثلاثة هى : أن يقلع عنها .. وأن يندم على فعلها وألا يرجع إليها أبدا ، فإذا كانت تتعلق إلى جانب ذلك بحق إنسان آخر فهى أربعة هى هذه الشروط الثلاثة مضافا إليها شرط رابع هو أن يبرأ من حق صاحبها لديه ، فأرادت هى أن يكون التطهر كاملا ، ولو تحملت تبعاته الجسام ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما ﴾ صدق الله العظيم (النساء : ١٧) .

وهذا وحده يقطع بأن الخيانة لم تكن طبعا متاصلا فيها .. وإنما كانت خطأ جسيما في حياتها سرعان ما ندمت عليه

ورضـيت عن طيب خـاطر بتـحـمل تبـعات الاسـتـبـراء منه ولو دفعت فى سبيل ذلك الثمن غاليا من كل الجوانب ..

وها أنت تقول إنك بعد مـرور عشر سنوات على هذه المحنة فـإنك لم تندم على قـرارك بإعـادتها إلـى عصـمـتك .. وديننا القـويم يرشـدنا إلى أنـه من أدب المؤمن إذا صـفـح عن خطأ المخطىء فى حقه ألا يعيره وألا يذكره به من بعد توبته عنه ، لكى يكون بذلك عـونا له عـلى التـزام الطريق القـويم وليس عونا للشـيطان عليه فيرجع عنه ، وإذا كـان هذا هو الحال مع من ارتكب الخطـأ .. فكيف يكون الأمـر مع ضـحـيـتـه حـين « يذكر » نفسه به كل حين .. ويجـتر آلامه وذكرياته المحزنة كأنما يجلد نفسه بخطأ غيره فى حقه إلى ما لا نهاية !

إننى أضع رسـالتك تحـت أنظار كـاتبـة رسـالة « الأرض العطشى » وغـيرها من القـراء والقـارئات .. لكى يستـفيـدوا بخبرتها المؤلمة وبما تطلعنا عليه من تجربة إنسانية صادقة ، وأحيى فيك نبل المقصد وصدق النية .. وشكرا .

كشف المستور!

أثارتنى رسالتا « الزلزال المدمر » و « الأرض العطشى » من قبلها ودفعنى ذلك أن أكتب عن الطرف الثالث فى هذه الثلاثية وهو العشيق .. ولكننى قبل أن أقص روايتى فإن لى تعليقا على ردكم الذى ترون فيه ضرورة مكاشفة الزوج كى تكون التوبة حقيقية والعقاب رادعا والتسامح فضلا .. وتعليقى مأخوذ عن فتوى قرأتها لفضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر فى موقف مماثل وظروف مشابهة إذ هو يرى أن الاحتفاظ بالسر بعد التوبة الحقة ، هو الأمر المفضل ولكى يعانى مرتكب الذنب « الزوجة هنا » وحده آلام اثمه وجريرته فالكبت وعدم البوح هو عقاب فى حد ذاته ـ كما أشرتم ـ وليس واجبا ، ولا عدلا أن يقاسى الطرف الآخر « الزوج » عذاب فجيعته فى اخلاص زوجته حتى وإن كان سببا غير مباشر فيما وصلت إليه الأمور ، أما قصتى فهى أننى كنت فى الثامنة والثلاثين من عمرى عندما انتقلت إلى إدارة جديدة فى عملى تعرفت على الزملاء والزميلات فيها وسرعان ما أصبحت شقيقا لهم ولست مجرد زميل جديد وافد عليهم ، وظل هذا عهدى معهم حتى بعد قيام علاقة لى مع

احداهن وهى السيدة التى تملك قلب الجميع نظرا لطبيعتها الملائكية شكلا وموضوعا بأخلاقها الرفيعة وإجادتها عملها وأدائه على وجهه الأكمل من حيث الجدية والاتقان ، وللحق فإنى لم أبذل أية محاولة منى للإيقاع بها وإنما كان هناك اهتمام زائد بها فى حدود الزمالة والشعور الأخوى وصل إلى رفع الكلفة بيننا فقامت باعطائى رقم تليفون منزلها وحدث تقارب روحى بيننا واتخذت علاقتنا بعدا أكبر من نطاق العمل ، وخرجنا معا فى أوقاتنا الخاصة وتطورت العلاقة بيننا حتى أصبحت المعنى الكامل لحياتى كما ظننت فى ذلك الحين نظرا لفراغ حياتى من الناس والعاطفة ولأن حبا كبيرا - كالذى تملكنى - تجاهها لم أجده فى حياتى من قبل وربما للآن .. واستمرت علاقتنا خمس سنوات كنا نلتقى خلالها مرة أو مرتين أسبوعيا وظلت العلاقة سرا لم يطلع عليه أحد ولم ينكشف .. وذات يوم انقطعت عنى هذه السيدة .. وحاولت أن أعرف سر انقطاعها عنى ، ثم أدركت أنها قد قررت وضع حد لعلاقتنا وخطئنا المشترك الذى استمر طوال هذه الفترة ، ولم تصارحنى بذلك لكنى أدركته وقررت أن أساعدها عليه ، وعلمت فيما بعد أنها لم تستطع الاستمرار فى الازدواجية التى كانت تمضى عليها حياتها خلال قصتنا معا ، وأنها قد استراحت لهذه النهاية واستعادت سلامها النفسى ، والسؤال الآن هو : هل كشف المستور الذى لم يشأ الله سبحانه وتعالى فضحه كما قال فضيلة الإمام هو الأجدى .. أم البوح به .. واطلاق البركان الخامد ليصيب بحممه الأبرياء هو الأصح ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

عفوا فإني لم أقل « بوجوب » مكاشفة الزوجة لزوجها بما كان من أمرها لكي تكون التوبة حقيقية .. وإنما فسرت فقط تصرف زوجة كاتب رسالة « الزلزال المدمر » واعترافها له بخيانتها بأنها قد رغبت في أن تبرأ من حقه عليها لكي يستريح ضميرها .. وهذا هو اختيارها ولكل إنسان اختياره ، لكن هناك فرقا كبيرا بين الرأى وبين التفسير والتحليل .. وردا على بعض التساؤلات المشابهة فإني أورد هنا نص فتوى أخرى سابقة صدرت عن لجنة الفتوى بالأزهر ردا على تساؤل زوجة كان لها ماض قبل الزواج ورغبت فى أن تبوح به لزوجها ، تقول الفتوى وهى بعنوان : « أكرمها الله بالستر وتريد فضح نفسها » : إذا كانت الزوجة قد أخطأت قبل زواجها وهى فتاة فلا يصح أن تقص على زوجها سوءاتها فى ماضيها لأنه ينظر إليها على أنها ملاك طاهر وإذا ما أخبرته بماضيها القبيح ربما تغيرت نظرته إليها وربما كرهها وطلقها .. يقول الرسول ﷺ : « كل أمتى معافى إلا المجاهرين وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل عملا بالليل وقد بات يستره ربه فيصبح فيقول للناس فعلت البارحة كذا وكذا » ..

وعلى هذا فإن على هذه السيدة أن تتوب إلى الله توبة صادقة وألا تخبر زوجها بماضيها المؤلم الذى يؤدى إلى طلاقها ، ولا يعتبر كتمان هذه الأمور السابقة للزواج خيانة للزوج ، لأن المعصية من الإنسان بينه وبين ربه فلا يصح أن يطلع عليها غير الله تعالى » .

هذا هو نص الفتوى.. ولا تعليق لى عليها.. وأعتذر عن إغلاق باب الحديث فى هذا الموضوع لحساسيته المعروفة.. وشكرا .

العواصف الهوجاء!

أريد أن أروى لك قصتى مع الزمن والحياة .. فلقد تعرفت بزوجتى فى حفل زفاف شقيقتى .. رأيتها ولفت نظرى إليها جمالها واعتدادها الواضح بنفسها وتعارفنا ، وبعد فترة قصيرة تمت خطبتنا ، وكنت وقتها مجندا بالقوات المسلحة .. وانهيت فترة تجنيدى وتزوجنا فلم يمض وقت قصير حتى بدأت الخلافات بيننا على أتفه الأسباب واكتشفت أن ما ظننته اعتدادا بالنفس ليس فى حقيقته سوى غرور شديد وتكبر أصيل فى شخصيتها ولا علاج لهما ، وكان من أمثلة خلافاتنا التى تقيم زوجتى الدنيا ولا تقعدها من أجلها أننى كنت بعد مغادرتى لبيتى فى طريقى إلى عملى .. أختلس بضع دقائق أتوجه خلالها إلى مسكن أمى لرؤيتها واحتساء فنجان من القهوة معها .. وكانت أمى تسعد بهذه الزيارة القصيرة جدا لأننى أكبر أبنائها .. ولأنها تعيش وحيدة فى مسكنها بعد رحيل أبى عن الحياة ومع ذلك فلقد كانت زوجتى تستشيط غضبا لزيارتى لها ..

واضطررت لأن أتكتم هذه الزيارات عنها .. وأن أقوم بها فى السر كأننى أرتكب فعلا شائنا ، ومع ذلك فقد كانت تعلم بها

وتثير علىَّ العواصف الهوجاء من أجلها ، ومضت الأيام بنا وأنجبنا طفلتنا الأولى واضطررت للعمل فى الخارج بضع سنوات لإسعاد أسرتى الصغيرة ، وحققت لزوجتى كل ما طلبته من أجهزة حديثة .. وأثاث جديد والانتقال إلى شقة أفضل وكتبت كل شىء باسمها لأدخل الطمأنينة إلى قلبها ، ومرت السنوات ورجعت من غربتى .. وأصبح عدد الأبناء ثلاثة وضاع معظم مدخرات سنوات الغربة فى شركات توظيف الأموال .. ولم يبق لى إلا دخلى من وظيفتى بالقطاع العام ، وكبرت الابنة الكبرى وتخرجت فى كليتها وأصبحت شابة جميلة يتهافت عليها الخطاب ، وكانت زوجتى ترغب فى تزويجها فى أسرع وقت فتقدم إليها مهندس شاب وسعدت زوجتى به وتمت الخطبة ، لكنها ما إن تمت حتى بدأت تفتعل المشاكل معه لأتفه الأسباب .. حتى ضاق ذرعا بتكبرها وصلفها وانسحب ، ومن بعده تقدم لابنتى طيار شاب وتكررت معه نفس القصة بنفس تفاصيلها ثم تقدم لها بعد ذلك طبيب ولم يكن حظه مع زوجتى أفضل من سابقيه فلقد سعدت به فى البداية ثم لم تلبث أن افتعلت معه المشاكل لكى تطفشه كما حدث مع الآخرين .

إلى أن جاء الخطيب الرابع عن طريق شقيقتى الصغرى .. وطارت به زوجتى فرحا لأنه ميسور الحال ماديا وصاحب شركة واهتمت به اهتماما شديدا وتوثقت العلاقة بينهما حتى شعرت أنا الأب ببعض الغيرة لحميمية علاقة خطيب ابنتى بزوجتى ، ومع ذلك فقد تعاليت على هذه الغيرة طلبا لمصلحة ابنتى .. وأملا فى ألا تسعى زوجتى إلى تطفيشه كما حدث مع الشبان الثلاثة

السابقين ، وأسعدنى أن لاحظت أن ابنتى قد أحبت هذا الخطيب وتمسكت به ، وتم عقد قرانهما ونحن فى قمة السعادة .. لكن عقد القران كان للأسف بداية النهاية لفترة العسل فى علاقة زوجتى بخطيب ابنتها فقد دبت الخلافات كالعادة بينهما لغير سبب جوهرى ، وتمادت زوجتى كعادتها فى إهانته عبر التليفون حتى أقسم الشاب ألا يدخل بيتنا مرة أخرى بعد هذه الإهانة ، وفشلت كل محاولاتنا لإصلاح الحال بينهما بسبب تمسك كل منهما بأنه لم يخطىء ورفضه الاعتذار للآخر ، وفعل التكبر والغرور اللذان يحكمان شخصية زوجتى فعلهما فتحولت مشاعرها تجاه الخطيب الذى كانت تطير به فرحا إلى كراهية شديدة ، وحاولت تدمير علاقته بابنتى ومنعتها من لقائه أو الاتصال به ولو عن طريق التليفون ، ورفضت ابنتى أن تستسلم هذه المرة لرغبة أمها فى تدمير علاقتها بخطيبها الرابع فنشبت الخلافات الحادة بينها وبين أمها .. واستمرت الخلافات دون بادرة أمل فى تقارب وجهات النظر ووصلت إلى حد الضرب والإهانة من جانب الأم لابنتها ، واستقطبت زوجتى ابنتها التى تكرر صورة أمها فى طباعها وأخلاقها إلى جانبها فانضمت إليها ضد شقيقتها .. ووقفت أنا بجوار الجانب الضعيف فى الخلاف وهو ابنتى ، ورأيت حسما للنزاع الفصل بينها ، وبين أمها بعض الوقت فاصطحبتها للاقامة لدى خالها حتى تهدأ النفوس . وأقامت ابنتى فى هذا « المنفى » لمدة شهر ثم شعرت بالحنين إلى أمها فرجعت إلى بيتها وعدت أنا ذات يوم إلى البيت ووجدتها فيه تتحادث مع أمها فسعدت بذلك وأملت خيرا ورحبت بابنتى وقلت لها إنها قد أنارت بيتها بعودتها

إليه .. فإذا بزوجتى تقول لى أمامها فى جفاء إنها مجرد « ضيفة » وسوف تعود من حيث أتت ، وامتقع وجه ابنتى حين سمعت ذلك .. وغضبت أنا وقلت لزوجتى أن ابنتى لن تخرج من بيتى .. فإذا بها تجيبنى بأنها لن تخرج منه وحدها وإنما وأنا أيضا معها ! ونشبت بيننا مشاجرة عنيفة انتهت بخروجى أنا وابنتى من البيت ، وإقامتنا لدى حماتى على أمل أن تنقشع الغمة وتستعيد زوجتى رشدها .. لكن هيهات أن يحدث ذلك فلقد طالت ضيافتى أنا وابنتى لدى جدتها ستة أشهر كاملة .. وانتهى خطيبها خلال هذه الفترة من إعداد عش الزوجية ، وتحدد يوم الزفاف فى نوفمبر الماضى .. لكن زوجتى كانت تغلى بالغضب لذلك وتقسم بأنها سوف تحرم ابنتها وخطيبها من فرحتهما فى هذا اليوم ، وقبل أسبوع واحد من موعد الزفاف توجهت زوجتى مع شقيقها إلى بيت والدتهما حيث تقيم ابنتى ، واصطحباها بالقوة وهى بقميص نومها إلى سيارة الخال وسط توسلات الجيران لهما أن يرحماها ويدعاها لشأنها وأركباها سيارة الخال بالضرب والاهانة وعادا بها إلى مسكن الأم ، وهناك انهالت عليها الأم ضربا بخرطوم المياه وهى تتوعدها بأنها ستشعل فيها النار وهى نائمة لكيلا تتزوج « الواد بتاعها » هذا !

وعلمت بما حدث وأنا فى عملى فغضبت غضبا شديدا وتوجهت إلى منزلى وأنا أحمل السلاح لأدافع به عن ابنتى ، فمنعنى الجيران من الصعود إلى مسكنى وقالوا لى إن المسكن خال من سكانه والجميع الآن فى المستشفى القريب لأن ابنتى قد سقطت من شرفة الدور الرابع الذى نقيم به ! وطار صوابى حين سمعت

ذلك وتوجهت للمستشفى فوجدت ابنتى فى حالة خطيرة والدماء تنزف منها ، فما أن رأتنى حتى بكت وقبلت يدى وهى تطلب منى أن آخذ لها بحقها ممن آذوها ثم راحت فى غيبوبة وتم نقل ابنتى إلى مستشفى آخر خاص وتبين أنها أصيبت بكسر فى الحوض والكوع وقصبة الساق والكاحل ، كما أصيبت أيضا بتفتيت فى الطحال من شدة الضرب ، وأمام وكيل النيابة قالت ابنتى إنها ألقت بنفسها من الدور الرابع .. لكى تنقذ أمها من أية مسئولية ولم تشر إلى مسئولية أمها وخالها عن دفعها إلى ذلك بما ارتكباه معها من ضرب وإهانة .. والآن فقد أنعم الله بالشفاء على ابنتى من الاصابات التى لحقت بها .. ونحن نستعد الآن لإتمام زفافها إلى عريسها الشهم ذى الأصل النبيل ، الذى تألم غاية الألم لما تعرضت له خطيبته من إيذاء لتمسكها به ووقف إلى جوارها فى محنتها وأقسم أن يعوضها عن كل ما لقيت من أجله من أذى واضطهاد ..

وإنى لأكتب لك هذه الرسالة لكى تكون عبرة لبعض الأمهات المتكبرات المستبدات بأبنائهن لكى يعرفن أن القسوة والغرور والتكبر لا تفيد ولا عائد لها إلا خروج الأبناء على طاعتهن بعد أن يعجزوا عن استمرار الاحتمال إلى النهاية وأحسب أنك تشاركنى الرأى فى ذلك .. والسلام ..

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

من المؤسف حقا أن تتدهور العلاقة الإنسانية بين أم وابنتها إلى هذا الحضيض الذى تحاول معه الأم فرض إرادتها على الابنة بالقهر النفسى والإيذاء البدنى حتى لتضطر الفتاة

إلى إلقاء نفسها من شرفة بيتها تخلصا من هذا الإيلام .

نعم من المؤسف حقا أن تتدهور العلاقة بينهما إلى هذا الدرك ، ويضاعف من الأسف أن أسبابه ليست أسبابا نبيلة تتعلق برؤية الأم لما فيه خير ابنتها ومصلحتها وإشفاقها عليها من الارتباط برجل ترى أنه لن يكون الشخص الأمين الذى يرعاها ويحفظ أمانتها ويحقق لها سعادتها .. وإنما ترجع أسباب هذا التدهور لاعتبارات أنانية تتعلق بالأم نفسها .. وما تراه هى ماسا بكرامتها من وجهة نظرها ، وهو رفض هذا الخطيب الاعتذار لها عما لا يرى نفسه مخطئا فيه .

فإذا كنا لا نعرف الكثير عن شخصية هذا الخطيب لكى نحكم له أو عليه ، فإن ما تقوله أنت عن زوجتك يرجح - إذا كان صادقا - أن تكون هى المسئولة عن الجانب الأعظم من أسباب سوء العلاقة بينهما ، استطرادا لصلفها وغرورها ورغبتها الظاهرة فى تطويع الجميع لإرادتها ، واستطرادا أيضا « لتاريخها » مع الخطاب السابقين الذين ترحب بهم فى البداية ثم لا تلبث أن تنقلب عليهم .

والإنسان « تاريخ » وليس موقفا عابرا نحكم به عليه ، وتاريخ زوجتك مع خطاب ابنتها السابقين يرجح للأسف أن تكون هى المسئولة هذه المرة أيضا عن تدمير علاقتها بالخطيب الأخير ، ونحن لا نستريح بالفعل لسوء العلاقة بين الأم وخطيب ابنتها ، أيا كان الجانب الذى يتحمل المسئولية عن تدهورها ، لما لذلك من آثار سلبية تنعكس بالضرورة على علاقة الخطيبين ثم الزوجين فى المستقبل ،

ونطلب دائما من الخطيب أن يحرص على إقامة علاقة طبيعية حميمة وعادلة مع أم فتاته لكى تكون عونا له فى حياته المستقبلية وليس العكس . لكن ذلك لا يعنى على الناحية الأخرى أن يقبل أى خطيب بإهانات الأم له ، أو بمحاولتها قهر إرادته وضمه إلى شبكة الخاضعين لإرادتها وتكبرها وغرورها ، وإلا تنمرت الأم له وانقلبت عليه ودمرت علاقته بابنتها ، ذلك أن لكل إنسان كرامته الشخصية التى يحق له ألا يفرط فيها أو يقبل عليها ما لا يقبله الحر لنفسه حتى ولو كان عاشقا متيما للابنة . والحق أن التكبر والعناد وصلابة الرأى .. وتوهم احتكار الحق دون الجميع هى الآفة الأساسية التى صنعت هذه المشكلة منذ البداية بين الأم وخطيب ابنتها ثم بينها وبين ابنتها فيما بعد ، ولقد كنت أحار أحيانا فى فهم سر هذا التلازم الدائم بين التكبر وبين العناد وصلابة الرأى والتمسك به إلى النهاية حتى ولو أدى بصاحبه وبالجميع إلى الخراب إلى أن قرأت ذات يوم نصيحة الإمام محمد الباقر لابنه الإمام جعفر الصادق وهو يحذره من الكبر فيقول له : ما دخل قلب امرىء شىء من التكبر إلا نقص من عقله بمثل ما دخله !

فالتكبر بهذا المفهوم نقصان فى العقل والحكمة والقدرة على الاستيعاب السليم للأمور . وعلى الناحية الأخرى فإن التواضع والمرونة والاستعداد للاقتناع بما فى آراء الآخرين من حكمة وصواب هو فى واقع الأمر إضافة إلى العقل وإطلاق لقدراته على أن يعين الإنسان على تجنب المشاكل التى لا مبرر لها مع الآخرين .

ولقد ساهم فى تصاعد الأمور بين زوجتك وخطيب ابنتها ، أن خطيب ابنتك يتسم فى تصورى بشىء من الاعتداد بالنفس يستمده غالبا من اعتزازه بأوضاعه المالية الميسورة .. أو ربما يكون سمة أصيلة فى شخصيته منذ البداية ، ولهذا فلقد بدأت العلاقة بينهما حميمة ووثيقة فى البداية وخلال فترة المجاملات والتنازلات البسيطة بين الطرفين طلبا لقبول الطرف الآخر .. ثم لم تلبث شخصية كل منهما أن عبرت عن نفسها بوضوح بعد التآلف والاعتياد ، فكان الصدام وتطاول زوجتك عليه بالاهانة ورغبتها فى فرض إرادتها عليه كما تفرضها على الجميع ، ولم يجد الرجل فى نفسه ما يدفعه إلى قبول الإهانة والتسلط فاستمسك بعدم الاعتذار إليها واستمسكت زوجتك بعدم الاعتذار إليه لأن الحق دائما حكر عليها وفى جانبها على الدوام كما تؤمن هى ، فكان الابتعاد ، وضاعف من التصاعد أن ابنتها قد خرجت هذه المرة على إرادتها ورغبت فى استكمال مشروع الارتباط به حتى ولو لم يعتذر لأمها .. وأيدتها أنت فى ذلك بعد أن خشيت على مستقبل ابنتك من رهن سعادتها وزواجها برؤية زوجتك وحدها للأمور ، فحلت الكراهية الشديدة لخطيب الابنة فى قلب أمها محل الترحيب به والعلاقة الحميمة معه فى البداية ، ولا عجب فى ذلك وجمال الدين الأفغانى يقول لنا : إن « الأكفاء فى الزمن الواحد والمكان الواحد لا يكونون غالبا أصدقاء » ! وزوجتك وخطيب ابنتها كفئان إلى حد ما فى الاعتداد بالنفس ، وإن كان ذلك مضاعفا فى شخصية زوجتك

كما تروى عنها .. غير أن ذلك كله لا يبرر أبدا أن تشن زوجتك هذه الحرب الضارية ضد ابنتها لمنع زواجها من خطيب طارت هى نفسها فرحا به فى البداية ولا يبرر أبدا إيذاءها لابنتها معنويا وبدنيا وطردها من رحمتها لكى تتزوج من تقدم إليها فى بيت أسرتها وهى وحيدة ومنبوذة من أمها وبعض أهلها لغير سبب سوى العناد والتكبر وصلابة الرأى والتمسك به إلى ما لا نهاية ..

وإذا كان الأمر كذلك أفلا من سبيل لتقريب وجهات النظر بين هذه الأم وهذا الخطيب حتى ولو تنازل أحدهما أو كلاهما بعض الشىء عن اعتزازه بنفسه لكيلا يحرما هذه الفتاة من حقها العادل فى أن تتزوج تحت أنظار أبويها .. وبغير أن يكدر عليها بعض سعادتها إحساسها بالوحدة والنبذ من جانب هذه الأم العنيدة ؟

الخطـــة الجهنميـــة !

أنا شاب فى الثامنة والعشرين من عمرى .. أتابع باهتمام بريد الجمعة واستطيع أن أقول إن ما يقرب من ٨٠٪ من خبرتى بالحياة قد اكتسبتها منه ، ولهذا فإنى ألجأ إليك لألتمس منك الرأى والمشورة فى مشكلتى التى أقف أمامها حائرا الآن . فلقد بدأت القصة منذ أكثر من عام حين تعرفت بسيدة متزوجة تكبرنى بثمانى سنوات ولها ابنة عمرها ١٧ عاما ، ثم توثقت صلتى بها سريعا لظروف غياب زوجها المتكرر حيث يضطره عمله للسفر لفترات طويلة ، فأصبحنا نتحدث فى التليفون لساعات طويلة ونلتقى فى الأماكن العامة ونتبادل أحاديث الحب والهيام ، كما بدأت أزورها فى بيتها عند سفر زوجها ، وتكررت هذه الزيارات إلى أن تخطينا كل الخطوط الحمراء وأصبحت علاقتى بها « كاملة » .. واستمر الحال على هذا النحو بضعة شهور .. لم يعد لكل منا خلالها شاغل سوى الآخر ، وأصبحت أزورها فى بيتها كلما سافر زوجها وخلا البيت عليها فى غياب أبنائها فى مدارسهم وتزورنى هى من حين لآخر فى بيتى الذى أقيم فيه وحيدا بعد زواج كل إخوتى ورحيل أبى وأمى منذ سنوات .

إلى أن جاء يوم وفوجئت بها تعرض علىَّ خطة جهنمية ، تضمن لنا ـ كما قالت ـ استمرار علاقتنا بلا متاعب إلى أبعد مدى، وتجنبنا شكوك الآخرين فى أسباب زياراتى المتكررة لها فى بيتها أو زياراتها لى .. أما هذه الخطة فهى أن ارتبط بابنتها ظاهريا .. وأن تشجعها هى على قبول الخطبة من ناحية المبدأ فتتسع أمامنا الفرصة للاستمرار فى علاقتنا الخاصة بلا مشاكل لعدة سنوات لأنها مازالت طالبة بالمرحلة الثانوية .. وقد تنضج الفتاة خلال هذه السنوات وتتجه مشاعرها لزميل لها فى الجامعة مثلا أو تكتشف أننى لست فتى أحلامها فتعتذر عن عدم إتمام الخطبة والزواج فأتحلل من مشروع الارتباط بها ونفوز نحن ـ أنا وأمها ـ ببضع سنوات من العلاقة الحميمة بلا متاعب أو ظنون .. فإذا حدث العكس وتعلقت بى الفتاة ورغبت فى استكمال المشوار معى إلى نهايته فليس ثمة ما يمنع من ذلك ، على أن تتوقف علاقتى بوالدتها عند هذا الحد وتقوم بيننا علاقة المصاهرة ! إننى أعرف أنك تريد الآن أن تمزق هذه الرسالة وتلقى بها فى سلة المهملات وأنت تلعننى لكنى أناشدك أن تستمر فى قراءتها حتى النهاية لعلك تجد فى خاتمتها ما يخفف بعض غضبك علىّ ..

لقد ألحت علىَّ شريكتى بهذه الخطة .. وفكرت فيها بعض الوقت فلم أر مانعا من تنفيذها ، وكلفتها بأن تمهد لى الطريق ففعلت ، وحدثت ابنتها عنى ، وشجعتها على الترحيب بى ، وانتظرنا مجىء أبيها من رحلة عمل له .. وتقدمت إليه طالبا يد ابنته .. فتردد فى البداية فى القبول بسبب صغر سن ابنته .. لكن شريكتى نجحت فى إزالة تردده ، وأيدت فكرة الارتباط المبكر

لابنتها بشاب « ممتاز » مثلى لكى يحميها هذا الارتباط من الإغراءات الكثيرة التى تحيط بها نظرا لجمالها الملحوظ وغياب الأب معظم الأوقات .. وذكَّرت زوجها بأنه قد خطبها وعمرها ١٧ عاما مثل ابنتها وتزوجها وعمرها ١٨ عاما .. فاقتنع الرجل بذلك وأعلن موافقته بعد أن لمس من ابنته ترحيبها بهذا الارتباط .

وبالفعل تمت قراءة الفاتحة ثم الخطبة وأصبحت أتردد على بيت شريكتى بلا حرج ، وازدادت فرص اللقاء بيننا كثيرا وأصبح اتصالنا التليفونى بالساعات أمرا علنيا أبدؤه بالحديث مع الفتاة لبعض الوقت ثم تأخذ الأم السماعة وتتحدث معى بحريتها وتدعونى للحضور أو تطلب منى مقابلتها لشراء شىء فى وسط المدينة.. إلخ . ولم ألحظ أى شك من الفتاة فى طبيعة علاقتى بأمها .. ولاحظت على العكس من ذلك أنها سعيدة بى وبالمودة التى تجمع بينى وبين أمها وإخوتها وسعدت بذلك فى البداية وشعرت بأن كل شىء يمضى كما هو مخطط له تماما ، لكنى بدأت أشعر فجأة بالذنب تجاه هذه الفتاة البريئة التى اشترك أنا وأمها فى خداعها وبالندم على ما تورطت فيه معها ومع أمها على السواء ، وبدلا من أن يستمر ابتهاجى بنجاح الخطة وجدت نفسى أشعر بالخوف الشديد مما سيحيق بى من غضب ربى لما فعلت وتدهورت إليه من علاقة آثمة مع شريكتى .. وبدأت الهواجس تلاحقنى وتفسد على أوقاتى واعترانى الضيق والاكتئاب ولاحظت أننى لم أعد أشعر بالمتعة التى كنت أشعر بها مع والدتها من قبل .. وإنما بالألم والضيق والذنب ، كما لاحظت أيضا أنها قد أصبحت مهمومة معظم أوقاتها ولم تعد سعيدة ومبتهجة دائما

معى كما كانت من قبل ونهضت من نومى ذات ليلة مفزوعا وأنا أشعر كأن أحدا يخنقنى ، فاستقر عزمى بعد تفكير طويل على أمر .. وتوجهت للقاء شريكتى وصارحتها بندمى على ما وصلنا إليه معا ففوجئت بها تقول لى أنها تشعر هى الأخرى بنفس هذا الندم و تريد أن تفاتحنى فى ضرورة التوقف عن الاستمرار فى الخطأ لأنها لم تعد قادرة على مواصلته ولا سعيدة به .. واسترحت كثيرا حين سمعت منها ذلك واتفقنا على وقف اللقاءات الخاصة بيننا والاستمرار فى العلاقة العائلية التى تجمعنا بصفتى خطيبا لابنتها وبصفتها أما لخطيبتى والتزمنا بهذا القرار وبدأ كل منا يصلى ويستغفر الله كثيرا ويندم على ما بدر منه ، واستمرت صلتى العلنية بأسرة خطيبتى كما كانت من قبل وأصبحت أدخل بيت الأسرة وقد تحررت لأول مرة من الاحساس بالإثم والخداع ، وأصبحت شريكتى السابقة تقابلنىَ بود واحترام ولا تتطرق إلى أى أحاديث خاصة بنا لكن هاجسا جديدا بدأ يؤرقنى وهو هل يحل لى الزواج من هذه الفتاة بعد خطئى مع أمها أم لا .. وتحرجت من أن أسأل أحدا فى ذلك خوفا من أن يكتشف الحقيقة وتوجهت إلى دار الافتاء بسؤال مكتوب عن جواز ارتباط شاب بفتاة سبق له أن أخطأ مع أمها وتوقف عن الخطأ فجاءنى الجواب بأن الإمام أحمد بن حنبل قد حرم مثل هذا الزواج فى حين أباحه الأئمة الثلاثة الآخرون وأخذت بالرأى الأخير ومضيت فى مشروع الزواج .. وبدأنا نتحدث عن تحديد موعد قريب لعقد القران .. لكنى وجدتنى بالرغم من ذلك حائرا ومترددا ولا أعرف ماذا ينبغى لى أن أفعل .. وهل أرتبط بهذه الفتاة للنهاية

وأتزوجها .. أم ابتعد عن هذه الأسرة كلها خاصة أن أمها كانت قد عرضت على حتى بعد توقف العلاقة الخاصة بيننا أن تحصل من زوجها على الطلاق وتتزوجنى إذا رغبت أنا فى ذلك ، لكنى رفضت هذا الاقتراح بشدة لكيلا أهدم أسرتها وافرق أبناءها الذين ينعمون بحياة عائلية طبيعية بالرغم من كل ما حدث .

إننى أعرف أننى لست موضع احترامك الآن بالمرة لكنى أثق أنك لن تبخل علىّ بالرغم من ذلك بالرأى السديد والمشورة ولعله يخفف من حنقك علىّ أن تعلم أن ما وصلت إليه من تقويم هذه السيدة يستحق الاحترام بالفعل ، فلقد اصبحت تصلى وترتدى الملابس الطويلة والمحتشمة وتغطى شعرها ولا تتحدث مع أحد إطلاقا ، ونفس الشىء حدث أيضا للفتاة التى كانت على وشك أنَ تتخذ نفس اتجاه الأم قبل ارتباطى بها فعدَّلت مسار تفكيرها وأصبحت ملتزمة ومحتشمة تماما .

والآن بماذا تنصحنى أن أفعل .. يا سيدى ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

لست أريد أن أخوض فى نهر الفقه العميق لكى أناقش صحة ما أوردته فى رسالتك من موقف الأئمة الأربعة الأجلاء من مثل هذا الزواج المحاط بالشكوك والريب .. لكنى أقول لك فقط أنك قد أخطأت فى النقل عن فتوى دار الإفتاء فيما قلته عن مواقفهم منه فلقد رجعت إلى الفتوى رقم ١١٦٤ من فتاوى دار الإفتاء المصرية والصادرة فى عهد الإمام الراحل الشيخ جاد الحق على جاد الحق يرحمه الله حين كان مفتيا

للجمهورية ، فوجدت الفتوى فى مسألة مشابهة تشير إلى أنه ليس ابن حنبل وحده رضى الله عنه هو الذى يحرم مثل هذا الزواج .. وإنما يحرمه أيضا فقهاء المذهب الحنفى والثورى والأوزاعى ، حيث يثبتون لارتكاب الخطيئة مع الأم ما يحرم بالمصاهرة ويقولون أن من ارتكبها مع امرأة فقد حرمت عليه أمها وابنتها وجدتها وحرمت هى على أبيه وأجداده وإن علوا وعلى أبنائه وإن نزلوا ، فى حين أجازه فقهاء الشافعية والمالكية على كراهته اعتمادا على أنه لا يعتبر فى التحريم بالمصاهرة إلا النكاح الحلال الذى لا شبهة فيه ، فإذا لم يكن كذلك لم تقع به حرمة المصاهرة ولكن يكره مثل هذا النكاح ولا يندب إليه أى لا يكون مفضلا ، وبغض النظر عن اختلاف الأئمة الأجلاء فى هذا الأمر وكل مصيب كما يقولون فإنى أسألك عما يغريك بفتاة صغيرة لم تبلغ الثامنة عشرة من عمرها لكى تسعى للارتباط بها وقد أخطأت من قبل مع أمها .. ولم تكن خطبتك لها من البداية سوى جزء من خطة جهنمية شائنة للتعمية على علاقتك الآثمة بوالدتها ؟

ولماذا تصر على مخالفة أحكام العقل والأخلاق باستمرار وجودك فى حياة هذه الفتاة الضحية والظروف المعقدة المحيطة بها قد تنذر باحتمال تجدد العلاقة بينك وبين أمها فى أى مرحلة من العمر ، بدليل عرضها عليك حتى بعد خطبتك لابنتها وتوقف العلاقة الآثمة بينكما أن تحصل على الطلاق من زوجها وتتزوجك ؟

ألا يعنى ذلك أن القصة المؤسفة لم تنته كل فصولها بعد ..

وإن استمرار وجودك بالقرب من هذه السيدة قد يحمل لك نذر تجددها فى أى لحظة ؟

إن الإنسان ضعيف بطبعه أمام الإغراءات .. والمثيرات ونداءات الغريزة والمغامرة .. وسوابقك الأخلاقية لا توحى بأن استشعارك للندم أو استشعار شريكتك له قد يكون كافيا الآن أو فى المستقبل القريب لحماية كل منكما من ضعفه تجاه الآخر إلى ما لا نهاية ..

فلماذا إذن تضع نفسك وتضع هذه السيدة موضع اختبار قد يدوم طوال ارتباطك بابنتها ؟ ولماذا لا تنجو بنفسك من حقل الألغام الذى دخلته بقدميك فتحمى هذه الفتاة الصغيرة مما ترشحها له أنت وأمها من عذاب كعذاب الأساطير الإغريقية حين تكتشف ذات يوم ما كان من أمركما معا .. أو ما سوف يستجد منه فى قادم الأيام ؟

ولماذا أيضا لا تعين هذه السيدة على نفسها بالخروج نهائيا من حياتها ، وكفاك وكفاها إثما ما كان من أمركما معا .. وما كان من أمركما مع هذه الفتاة التى ارتضت لها أمها - لا سامحها الله - أن تتخذها ستارا خادعا لعلاقاتها بك ، حتى ولو أدى ذلك إلى استغلالها هذا الاستغلال الدنىء واللعب بعواطفها الغضة بغير شفقة لحساب أهوائها ونزواتها ؟ يا إلهى !! إن من الحيوانات الثديية من قد لا ترضى لفلذات أكبادها بهذا الاستغلال الدنىء ، فكيف يرضى به بعض البشر لثمرات قلوبهم ؟ إننى لن أحدثك عن الحلال والحرام لأنك تعرف جيدا كل ما يمكن أن يقال فى ذلك

ولكنى سأقول لك فقط إنه حتى فى الخطأ ، فإن من الأخطاء ما قد يخفف من بعض وزره إنه قد يراعى بعض القوانين الأخلاقية دون بعضها فلا يضاعف مرتكبه من جرمه باستغلال الآخرين أسوأ استغلال ولا يقترب فى خطئه بالأذى ممن يأمنون إليه ويعتمدون عليه ويثقون فى إخلاص نياته تجاههم ، ومن الخطأ كذلك ما لا يراعى فيه مرتكبه أى قانون أخلاقى أو حرمة لشىء أو شفاعة لصلة رحم أو قرابة ، فكأنما لا يرى فيما يفعل إلا نفسه ورغباته وأهواءه مهما ترتب عليها من إيلام وإيذاء للآخرين . وخطأ هذه السيدة فى حق ابنتها بوضعك فى طريقها لكى تكون ستارا شائنا لعلاقتها الآثمة بك هو من هذا النوع الأخير الذى يضيف إلى جرم الخطيئة ، خسة خداع أقرب الناس إليها وأحقهم عليها بالحماية من مثل هذا الخداع ولو ضحت هى فى سبيل ذلك بكل أهداف الحياة .

ولقد قلت مرارا إن الضمير الأخلاقى قد لا يمنعنا فى بعض الأحيان من ارتكاب الخطايا .. لكنه يحرمنا بكل تأكيد من الاستمتاع بها ، وما حدث لك ولهذه السيدة بعد تورطكما فى خداع هذه الابنة .. ونجاح خطتكما الجهنمية فى إضفاء الصيغة الملائمة على وجودك فى حياة هذه الأسرة يؤكد ذلك غير أننى أصارحك بأننى لا أطمئن كثيرا إلى الاعتماد على هذا الوازع الأخلاقى فى علاقتك بهذه السيدة .. إذا استمرت صلتك بابنتها وتطورت إلى الزواج .. كما أننى لا أرشح مثل هذا الزواج الذى أحسب أنك تتلمس الآن الذرائع للنكوص عنه ، للنجاح والاستمرار بلا مشاكل محزنة .. وأسبابى لذلك هى

أنك حتى ولو نجحت فى الاستمرار فى مقاومة نداء تجدد العلاقة بينك وبين هذه السيدة ، فإنك لن تنجو غالبا من مؤثرات هذه العلاقة السابقة عليك ورواسبها الأخلاقية فى أعماقك في علاقتك بهذه الفتاة فى المستقبل ..

فلا شك أنك رغم « اعتزازك » بما تقول إنك قد نجحت فيه من « تقويم » هذه السيدة ، وتعديل مسار تفكير ابنتها التى كادت تمضى على درب أمها لولا جهدك المشكور فى تقويمها ! أقول إنك لا شك لا تخلو فى أعماقك من بعض عدم الاطمئنان إلى نوعية القيم الأخلاقية السائدة فى الوسط العائلى لهذه السيدة وابنتها ، وإنك لن تخلو فيما أتصور من بعض الهواجس والظنون فى أن تكون لهذه القيم المتساهلة بعض الأثر على التزامها وسلوكها فى المستقبل .. وحتى ولو كانت فتاة طيبة ولا غبار على أخلاقياتها فإنك قد تظلمها بهواجسك وشكوكك ورواسب علاقتك السابقة بأمها .. وتساؤلاتك عما إذا كان لسوابق أمها معك من أثر على نظرتها للحياة وأخلاقياتها فى المستقبل .. فلماذا لا تحميها من كل ذلك .. وتدعها لشأنها .. ولها من جمالها وصغر سنها ما قد يرشحها للارتباط بمن لا ينطوى لها على شىء من مثل هذه الهواجس والظنون ! ولماذا لا تبتعد أنت عن البوتقة التى تضطرم فيها نيران الشكوك .. واحتمالات تجدد العلاقة الآثمة مع الأم .. واحتمال اطلاع الابنة على علاقتك بأمها .. واحتمال انفجار الموقف كله بفضيحة مدوية وانهيار أسرة بأكملها وتبدأ حياة جديدة ونظيفة وخالية من كل الشوائب مع فتاة لا تربطك

بأسرتها مثل هذه الروابط المركبة والمعقدة .

إننى لا أظن أن هذه الفتاة سوف تخسر الشىء الكثير بفقدها لك .. بل لعلى أقول أنها ستربح نفسها وسعادتها فى المستقبل إذا نجت من الارتباط بك ومن هذا الزواج الذى يحمل فى ثناياه من عوامل الفشل والقلاقل والاضطراب أكثر مما يحمل من عوامل النجاح والاستقرار والأمان .

ولقد ركزت حديثى كله على هذه الفتاة باعتبارها الضحية الأولى للخداع البشع والخطط الجهنمية الآثمة من جانب أمها .. وجانبك ، أما الضحية الأخرى لهذه القصة وهى والدها فحسابكما عنه مع خالقكما ، لكن أبسط ما تستطيع أن تقدمه له الآن إذا كان مازال لصوت الضمير من أثر عليك هو أن تختفى من حياة ابنته وأسرته وعائلته .. عسى أن يرشحك ذلك مع صدق الندم وصحة العزم للتطهر مما جنيته عليه من قبل ..

ابتسامة الهزيمة!

كنت فيما مضى أستبعد أن يجىء يوم أحتاج فيه إلى الكتابة إليك .. لكن حادثات الأيام لا تدع أحدا فى طريقه فلقد تعرضت لتجربة شخصية دفعتنى لأن أكتب لك عنها مستشيرا ومحذرا ، فأنا مهندس أبلغ من العمر ٤٥ عاما ، تزوجت منذ ١٥ عاما من فتاة كانت وقتها طالبة بالسنة الثالثة الجامعية .. وفى قمة التدين والأخلاق ، وقد تخرجت زوجتى فى كليتها ونحن معا ، وعملت مدرسة بأحد المعاهد .. ومضت حياتنا هادئة وأنجبنا خلال رحلتنا مع الحياة ثلاثة أبناء صغار ملأوا حياتنا بهجة وسعادة ، ثم حدث ذات يوم أن زرت زوجتى فى مقر عملها فعرفتنى بزميل لها رحب بى بحرارة .. ورحبت به .. وبعد أيام أبلغتنى زوجتى أن زميلها هذا يرغب فى زيارتنا فى بيتنا مع أسرته ، وجاء الرجل مع زوجته وأطفاله الذين يماثلون أولادى فى السن تقريبا .. وأمضينا معا وقتا طيبا ، ولاحظت من الوهلة الأولى أن زوجته تفوق زوجتى جمالا ثم دعينا بعد ذلك لزيارة هذا الزميل فى بيته ، وتكررت الزيارات العائلية بيننا كثيرا ثم انتقلت من الحى الذى أقمت فيه معظم سنوات عمرى ، إلى حى جديد بعيد نسبيا عن

الحى السابق ، فلاحظت أن هذا الزميل قد بدأ يزورنا فى بيتنا منفردا دون اصطحاب زوجته معه ويمضى معنا وقتا طويلا ، وتكررت الزيارات المنفردة من جانبه بشكل مكثف ، حتى بدأت أتساءل عن سر هذه الزيارات الكثيرة المنتظمة دون حضور زوجته معه ، وأفضيت لزوجتى بتساؤلاتى هذه فنهرتنى بشدة ، ودافعت بحرارة عن هذا الزميل ووصفته بأنه صديق مخلص وشريف ويحترم حقوق الصداقة ، ولم يقتنع عقلى تماما بدفاع زوجتى ، لكن الأمور مضت بعد ذلك فى نفس الطريق ، ثم حدثت بعض المشاكل العادية بيننا فلاحظت أن رد فعل زوجتى تجاهها قد أصبح حادا وجافا .. ولاحت لى فرصة للعمل فى الخارج لمدة عامين فأملت أن يساعد بعدى عنها فى إزالة هذه الخلافات ، وسافرت بالفعل .. وحرصت على الاتصال بزوجتى وأولادى من غربتى فى مواعيد دورية .. وألمنى أن زوجتى لم تكتب لى أية رسائل خلال بعدى عنها بالرغم من تلهفى إلى أية كلمة من جانبها ، ومضت تسعة أشهر فإذا بى أتلقى منها خطابا مقتضبا تطالبنى فيه بإرسال ورقة الطلاق إليها عن طريق وزارة الخارجية ، وصعقت حين قرأت هذا الخطاب ، وترقبت بصبر نافد أول إجازة سنوية لى ورجعت إلى بلدى لأحاول إنقاذ أسرتى من الانهيار ، وناقشت زوجتى فى أسباب طلبها الطلاق وبيننا ثلاثة صغار يحتاجون إلينا فلم تجبنى سوى بأن الحياة قد استحالت بيننا وأنه من الأفضل لكل منا أن يمضى فى طريق مختلف ، وناقشت الأمر مع الأهل والأقارب فإذا بوالدة زوجتى تصارحنى بأن ذلك الزميل الذى كان يزورنا بكثرة فى بيتنا هو السر فى

طلب زوجتى للطلاق وأنه سوف يتزوجها بعد أن تحصل على الطلاق منى !

ولجأت إلى الأسرة فنفوا ذلك واتهموا والدة زوجتى بالاندفاع والتهور وواجهت هذا الزميل نفسه بما قالته فنفاه بشدة وتساءل عما يدعوه للزواج مرة أخرى وله زوجة جميلة وثلاثة أبناء ، وقضيت بقية أيام الإجازة أحاول اصلاح الأحوال بينى وبين زوجتى بلا جدوى - واضطررت للعودة إلى عملى بغير الإقدام على الطلاق حفاظا على كيان الأسرة .

ومن غربتى رحت أتصل بزوجتى تليفونيا فتخبرنى فى كل مرة بأنها متمسكة بطلب الطلاق إلى النهاية .. وفشلت كل جهودى لإقناعها بالعدول عن هذا المطلب فاضطررت إلى العودة بعد ستة أشهر فى محاولة أخيرة لإنقاذ الأسرة فاستمرت زوجتى فى معاملتى أسوأ معاملة وتمسكت بالنوم فى غرفة مستقلة ، وحين أبلغتها بأننى لا أمانع حتى فى استمرار الحياة بيننا على هذا النحو لكى تكون أما للأطفال فقط راحت تهددنى بدس السم لى أو قتلى خلال نومى إن لم أستجب لطلبها بالطلاق ، ولم تكتف بذلك بل بدأت بالفعل فى اتخاذ إجراءات طلب الطلاق عن طريق المحكمة .. وفوجئت بأحد المحامين يزورنى ويحاول اقناعى بالطلاق وديا بعيدا عن إجراءات المحاكم ، قائلا لى إننى رجل مهندس ومثقف ولا يليق بى أن أتمسك برفض طلاق زوجتى ما دامت تصر عليه ولا أمل فى عدولها عنه ..

ولم أستطع الصمود لبذاءات زوجتى وشتائمها أكثر من ذلك فوافقت على الطلاق وذهبت معها ومعى شقيقى إلى المأذون فى

موكب حزين وشعرت بأن قطعة من جسمي تنتزع منه وأنا أردد وراءه العبارات الكريهة ..

ورجعت إلى بيتي مهزوما مدحورا ، ومضت أيام العدة فما إن انتهت حتى علمت أن زوجتي السابقة وأم أطفالي الثلاثة قد تزوجت في اليوم التالي مباشرة ذلك الزميل الذى كان يدعى صداقتي ودخل بيتي واقتنص مني زوجتي .. وانهرت تماما حين علمت بذلك .. وحصلت على إجازة من العمل .. وجلست في بيتي مع أولادى حزينا مهموما وأكاد أجن من التفكير المتصل فيما حدث لي .. وفي شدة ضيقي يراودني الشيطان أحيانا أن أذهب إلى هذا « الصديق » الغادر وأقتله لأريح المجتمع منه .. ثم يعيدني عقلي إلى الرشد في أحيان أخرى وأتساءل وماذا يستفيد أبنائي إذا فعلت ذلك وكان مصيرى السجن .. ومن يرعاهم في غيابي .. والغريب في الأمر أن زوجة هذا الرجل تلومني وتقول لي إنني السبب فيما حدث لأنني أدخلت زوجها بيتي وسمحت له بهذه الزيارات المكثفة وكان ردى عليها أنني سمحت للكثيرين بزيارتي فلماذا لم يفعل أحد غيره ما فعل .. والأنكى من ذلك أنه قام بتأجير شقة قريبة من مسكني بنفس الحى لمن أصبحت زوجته من بعدى وذلك لكي أموت كمدا وغيظا .. فهل من العدل أن يعاقب القانون على قتل مثل هذا الرجل ! لقد رويت لك قصتي لكي تحذر الآخرين من هؤلاء الذين يتمسحون بمسوح الصداقة ويتسللون إلى البيوت الهادئة ويهدمونها ويشردون أطفالها الصغار ويحرمونهم من أمهاتهم وأمانهم .. ولكي تنصحني بما أفعل لكي أستطيع احتمال التجربة المؤلمة واجتيازها ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

وماذا يملك الإنسان أن يفعل إذا شاءت له أقداره أن يمنى بهزيمة شخصية مماثلة سوى أن يتقبل ما حدث كما يتقبل حقائق الحياة الأخرى .. ويسلم بأنه ليس فى الإمكان محوه أو تغييره .. لكنه يستطيع فقط - إذا أراد - أن يعين نفسه على اجتياز هذه المحنة بأقل الخسائر النفسية والصحية ، وأن يؤمن بأنه إذا كان قد انهزم فى احدى الجولات فإنه لم يفقد كل فرصة فى الحياة ومازال قادرا على أن يبدأ من جديد مستفيدا بدروس المحنة وخبرتها الأليمة فى تفادى أشواك الطريق .

لا يملك المرء فى مثل هذه الظروف سوى أن يفعل ذلك .. فالتسليم بما حدث والإيمان بأنه ليس سوى عثرة من عثرات الطريق يستطيع النهوض منها ومواصلة السير إلى الأمام .. هو الخطوة الأولى فى التعامل السليم مع الانكسارات والهزائم التى قد يتعرض لها الإنسان خلال رحلة الحياة .. أما التجمد أمام ما حدث .. والاستغراق النفسى والوجدانى فيه إلى ما لا نهاية والانشغال الكلى بما كان عما ينبغى له أن يكون فى الحاضر والمستقبل القريب فلا طائل وراءه سوى مضاعفة الخسائر .. وضياع فرص التعويض ، والعيش فى إسار المحنة بدلا من تخطيها .. والتطلع لما بعدها .

والحق أننا نحتاج إلى أن ندرب انفسنا على تقبل الهزيمة بروح واقعية كما تعلمنا من قبل أن نزهو بالانتصارات ونسعد بها .. لأن الحياة نجاحات واخفاقات ، والمهم هو كيف

نتعلم من الفشل كما نعمنا من قبل بالنجاح ، وقديما قال شكسبير : إذا ابتسم المهزوم .. فقد المنتصر بعض لذة النصر !

وابتسامة المهزوم هنا لا تعني السعادة بالهزيمة أو الابتهاج لها ، وإنما تعني ألا تنكسر إرادة الإنسان أمامها وأن يؤمن بقدرته على الصمود لها .. وتعويض بعض ما خسره في سياقها .

وفي قصتك ليس يعيب الإنسان أن يرفضه شريك حياته أو أن يخون عهد الوفاء معه لأن الخيانة في النهاية هي عار الخائن وليس المخون ، وإنما يعيبه حقا أن يتمسك هو بمن رفضته وأن يمتهن نفسه وكرامته في استجداء استمرارها معه بعد أن أكدت المؤشرات الواضحة من قبل أن تحت الرماد نارا لا تخفى على فطنة أحد . وأنه من الأكرم لمن كان في مثل ظروفك أن يقبل بما ليس منه بد ، ويطلق سراح من لم تحفظ عهده ، ولم يردعها عن الانصياع لأهوائها ثلاثة أطفال صغار كأطفالك .

فإذا كانت ثمة مسئولية عما حدث فالمسئولية مشتركة بين أطراف الثالوث الشهير في الأدب الفرنسي في القرن الثامن عشر وهو ثالوث الزوج والزوجة والصديق وإذا كانت زوجة ذلك الرجل تعتبرك المسئول الوحيد عما حدث لأنك قد فتحت بابك لزوجها وتقبلت زياراته المكثفة لك ولزوجتك بدون زوجته فإن هذه المسئولية رغم أهميتها ليست في النهاية المسئولية الوحيدة .. حتى وإن كانت قد ساهمت في تصعيد الأحداث بالفعل ، لأن الرجل زميل لزوجتك في العمل ..

ولم يكن كلاهما ليعجز عن التواصل مع الآخر إذا أغلق فى وجهيهما باب اللقاء المشترك معك وإن كان ذلك لا يغير من الحقيقة العامة وهى أن التحفظ فى مثل هذه العلاقة هو الأولى بالاتباع بالفعل سدا لأبواب الفتنة والإغراءات والمشاكل .

لكنى بالرغم من ذلك لا أفهم أن ينصب حقدك على هذا الرجل وحده حتى لتفكر فى الانتقام منه بدعوى « إراحة المجتمع » من أمثاله .. وهو بالرغم من ادانته أخلاقيا فى هذه القصة المؤسفة لم يكن الطرف الوحيد فيها بل ربما لم يكن أيضا الطرف الفاعل المؤثر فى القصة كلها ، إذ كانت هناك كذلك زوجتك السابقة ومسئوليتها لا تقل خطرا عن مسئوليته إن لم تزد عليها .

لأنها لو كانت قد حفظت لك عهدك أو نفرت من فكرة الخيانة والارتباط بغير زوجها وتعريض استقرار أطفالها للخطر لما نجح هذا الرجل مهما بلغ تأثيره فى فك عرى العلاقة الزوجية بينك وبينها . وعلى أية حال فإن فكرة الانتقام منه لا معنى لها .. ولا طائل من ورائها سوى مضاعفة الخسائر الإنسانية والاجتماعية بالنسبة لك ولأطفالك .. ولقد تزوج كل منهما من الآخر ، وانطوت بذلك صفحة العلاقة غير المشروعة بينهما وبدأت صفحة أخرى لا يحق لك أو لغيرك الاعتراض عليها .. فاطو أنت أيضا هذه الصفحة المحزنة من حياتك وتطلع لبدء صفحة جديدة خالية من أخطاء الماضى وآلامه ..

واعلم أن الانشغال الشديد بأمر من خانت عهدك ومن تزوجها حتى ولو بالكراهية لهما والتفكير فى الانتقام منهما أو من أحدهما ، ليس من علامات البرء من هذه المحنة .. لأنه حتى الكراهية الشديدة لمن آذونا انشغال وجدانى بأمرهم لا يستحقونه منا ، ولا يستحقون أن نبدد فيه طاقتنا النفسية .. وإنما تلوح بشائر الشفاء فى الأفق حقا حين نبدأ فى تجاهل أمر من أساءوا إلينا .. « واعتبارهم » من غير الأحياء .. وغير الأموات بالنسبة إلينا على حد تعبير الفيلسوف الألمانى نيتشه ، فيكون ذلك علامة إيجابية على اجتياز المحنة .. والتهيؤ لمواصلة الطريق ..

صــراع الديناصورات!

أبدأ رسالتى إليك بهذا الدعاء الذى يتـردد دائما فى أعـماقى :
﴿ **اهدنا الصراط المستقيم ، صـراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليـهم ولا الضالين** ﴾ صدق الله العظيم .. فـأنا شاب عمرى ٢٣ عـاما ولى شقيق وحيـد عمره ١٧ عامـا .. ولقد نشأنا بين أبى وأمى فى أسرة تظلـلها التقاليـد الأصيلة ويرفرف عليـها الحب الذى بدأت به حياة الأبوين وارتباطهما ، وترسخ فى أعماقنا حين أدركنا أنه وحـده كان سبب وجودنا ، حـيث جمع الحب بين أبوينا وتحديا به الجميع والظروف المحيطة ونجحا فى ذلك .

ولقد كنا نقـيم فى شقـة صغيـرة من حجرتيـن وصالة بمدينة نصـر .. ونخرج يـوم الاجازة مع أبوينا الـلذين يعمل كـل منهمـا بوظيفة مـلائمة ويتقاسمـان أعباء الحياة .. ولم نـكن نشعر بأننا محرومان من أى شىء ، ولا نـنظر إلى غيرنا من الأبناء ولا يعنينا مـاذا يملكون أو ينفقـون ، ثم تقدمـنا فى مراحل التـعليم وارتقت أحوالنا المادية والاجتـماعية كثـيرا وانتقلنا إلى شقـة أكبر وأوسع بمدينة نصر كذلك .. واحتفظ أبى بالشقـة القديمة الصغيرة لتكون لى ولأخى فى المسـتـقبل ، وأصـبح أبى مـديرا فى عـمله ، وأمى

مديرة فى عملها ، وأصبح كل منهما يمتلك سيارة خاصة يذهب بها إلى عمله .. وبعد فترة قصيرة .. بدأت حياتنا تشهد بعض المتغيرات الجديدة عليها وبدأت المشاكل العادية التى قد تحدث فى أى أسرة تتكرر بمعدلات أسرع فى حياتنا وتتجمع ضغوطها تحت السطح ونحن لا نشعر بها ، وضاعفت منها ضغوط العمل ومشاكله .. فأدى كل ذلك إلى تضخيم آخر مشكلة زوجية شهدها بيتنا بين أبى وأمى ووسوس الشيطان لأحد الطرفين وهو فى غضبه أن يتخلص من كل ما يربطه بحياته السابقة بدعوى أن العمر قصير ، وقد لا يستطيع أن يفعل ما يريد أن يفعله الآن فى المستقبل ، فيرد عليه الطرف الآخر بالجرح والإهانة والتهديد بأن يفعل هو أيضا نفس الشىء فى أقرب وقت .

وتصاعد الموقف بأسرع من قدرتنا على الاستيعاب .. ناهيك عن الإصلاح أو التدخل لوقف التدهور ، وطلق أبى أمى ولم يكتف بذلك وإنما تزوج أيضا بأخرى ردا على اهانة أمى له ببعض العبارات المستفزة ، وباع الشقة القديمة التى كان يحتفظ بها لنا ليشترى شقة أخرى يتزوج فيها . ولم تقف أمى مكتوفة الأيدى أمام هذه الإهانة الاجتماعية التى وجهها لها أبى بزواجه فتزوجت هى الأخرى خلال فترة قصيرة ، وطلبت منا مغادرة الشقة التى نقيم فيها معها لكى يأتى زوجها ليعيش معها وغيرت كوالين الشقة وسدت أبوابها فى وجهينا أنا وأخى كما لو كنا « خدما » انتهت مدة خدمتهم فى هذا البيت وآن لهم أن يبحثوا عن غيره . وعجبنا لما حدث .. وتساءلنا عن السبب فجاءنا الجواب أن الهدف هو أن نجد نفسينا بلا مأوى فنذهب لأبينا ونحصل منه على حقنا

لديه بأى وسيلة فإن لم نستطع ذلك فلننغص ، إذن عليه حياته الجديدة .. ولو باشعاره بأننا قد أصبحنا مشردين بعد أن كنا نحيا حياة آمنة وننعم بحماية الأبوين ورعايتهما .. ولا عجب فى ذلك وكل منهما يريد أن ينتقم من الآخر .. بغير أن يضع فى حسبانه أننى فى سنة البكالوريوس وأن أخى بمدرسة خاصة ذات مصروفات عالية .

ولأن الهدف هو الانتقام فقد راح كل منهما يشن على الآخر حرب الدعاوى القضائية ويجىء بمحامين كبار من أساتذة الجامعات وينفق على قضاياه من المال ما نتحسر أنا وشقيقى حين نتذكره ونحن نبيت فى تجديدات مسجد قريب من منزلنا السابق كنت أصلى فيه بانتظام خلال شهر رمضان الماضى ، فإذا به يصبح مأواى أنا وشقيقى إلى أن يقضى الله فى أمرنا .. وإننى أتساءل يا سيدى هل تتغير النفوس من الحب إلى الكراهية العمياء والرغبة العارمة فى الانتقام من الطرف الآخر على هذا النحو ؟.. وهل تشمل هذه التغيرات فى المشاعر .. مشاعر الآباء والأمهات تجاه الأبناء فتتحول من الحب والعطف والاهتمام والعطاء .. إلى اللامبالاة والجحود ، وعدم الاهتمام ؟.

وهل توجد « العاطفة » فى الإنسان تجاه أبنائه كما توجد فى الحيوانات غير العاقلة تجاه أبنائها ؟.. وهل نحن المخطئان فيما حدث بين أبى وأمى ؟ دعنى أقل إن لنا نصيبا من ذلك لكن هل يكفى هذا النصيب لتفسير ما يحدث الآن .. وهل تستطيع أنت أن تفسر لنا ما يفعله بنا أبى وأمى كل منهما من ناحيته خاصة رفض كل منهما أن يضمنا إليه أو يوجد لنا مأوى كريما ؟ .

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

نعم .. أستطيع « للأسف » أن أفسر لك بعض ما تتعرض له الآن أنت وشقيقك من أذى في هذا الصراع الدائر بين أبويك على كل الجبهات .. أما إنني أستطيع ذلك « للأسف » فلأن ما سوف أقوله لك هو أسوأ التفسيرات وأبشعها وأبعدها عن الرحمة والعدل والدين وبر الأبوين بأبنائهما .. إذ أنني لا أجد مدخلا لفهم كيف يصبح فجأة شابان كانا حتى وقت قريب قرة أعين أبويهما بلا مأوى مستقر ولا مهجع يرجعان إليه سوى تجديدات مسجد كان أحدهما يصلي فيه في رمضان ، سوى أن أبويك وقد انفلت عقال رغبة كل منهما في الانتقام من الآخر وإيلامه وتنغيص الحياة الجديدة عليه ، قد رغب في أن « يصدِّر » مشكلة أبنائه إلى الطرف الآخر ، منتظرا منه أن « يضحي » دونه بتحمل تبعاتها لكي تصفو له هو حياته ، وحين أثبتت والدتك أنها ليست « أضعف » من أبيك فيما يتعلق بمشاعرها الأمومية تجاه أبنائها ولا أقل منه رغبة في التخلص من مسئوليتهما وعدم التوقف أمامها وهي تشق طريقها الجديد في الحياة . فلقد أصبحت رغبة كل طرف منهما الآن ليست فقط أن يصدِّر مشكلة أبنائه إلى الطرف الآخر ، وإنما أن يزعجه بها وينغص عليه صفو حياته الجديدة ، فإن لم ينجح في ذلك فلعله على الأقل يستطيع أن يثقل ضميره بأمرها وأن يخصم من صفاء حياته الجديدة بقدر ما يشعره بالذنب تجاه هؤلاء الأبناء ، فإن لم يتحقق له شيء من ذلك فلعله يستطيع - وهو المطلوب في كل الأحوال - أن ينقص من

اعتباره لدى الآخرين ويظهره بمظهر من لا يعنيه مصير أبنائه في غمار طلبه لسعادته الشخصية واهتمامه بحياته الخاصة .

ولأن الهدف هو الانتقام وليس البحث عن حل عادل للمشكلة ، فلقد أغلق كل من أبويك بابه في وجهيكما ولم يحتمل حتى فكرة التنازل عن بعض أسباب راحته وسعادته في حياته الجديدة ، بقبول إقامتكما لديه ولو بالتبادل مع شريكه السابق ، فكأنما يراهن بذلك على قدرة الطرف الآخر على احتمال تشرد أبنائه .. وينتظر الوقت الذى « يضعف » فيه قبل الآخر ويضم ابنيه إليه ولو أدى ذلك إلى تعثر حياته الجديدة .. فيتحقق المطلوب وينتصر الطرف الأكثر أنانية .. ويفوز في صراع الديناصورات التى لا يكف أحدهما عن الآخر حتى يلفظ أنفاسه الأخيرة .. وهكذا اتفقت إرادة الطرفين أو أنانيتهما على الأصح على ألا يفعل كل منهما شيئا جادا لحل مشكلة المأوى الملائم لكما .. مكتفيا فيما يبدو بمدكما ببعض نفقاتكما كأنما يرغب بذلك في أن تظل قضية الابنين المشردين حية في ضمير الطرف الآخر تذكره بالثمن الباهظ الذى دفعاه ثمنا لاختياره الذاتى لسعادته بعيدا عنهما .. وحية أيضا في مجتمعه العائلى تذكر أفراده بمدى ذاتيته وعدم استعداده للتضحية ببعض اعتباراته الشخصية من أجل ابنيه ، تماما كما تفعل بعض الدول حين ترفض بإصرار منح جنسيتها لمن يلجأون إليها في ظروف الحروب أو المجاعات ، لكى تظل مشكلتهم حية تؤرق الضمير العالمى

وتدفعه للبحث عن حلول جذرية تعيدهم إلى بلادهم الأصلية . غير أن ما يمكن القبول به في السياسة في بعض الأحيان ، لا يمكن أبدا القبول به في العلاقات الإنسانية وعلى الأخص في علاقة الأبوين بأبنائهما ولقد نسى أبواك للأسف في غمرة هذا الصراع الدامي بينهما أنه إنما ينتقم كل منهما من الآخر في أبنائه هو وليس في أبناء الطرف الآخر وحده ، وأن رغبته في « ازعاج » الطرف الآخر بمشكلة الابنين أو إثبات تخليه عنهما طلبا لراحته لا يدفع ثمنها في النهاية سوى هذين الابنين .. وما أبشعها ساحة للصراع والانتقام .. وما أخس الفوز فيها والانتصار .. « وكفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت » كما يقول لنا مضمون الحديث الشريف ، غير أنني مازلت بالرغم من كل ذلك أعجب لهذا الانهيار المفاجيء في حياتك أنت وشقيقك حتى لتصبحا معا فجأة بلا مأوى .. ولا أمل في مستقر قريب .. وأتساءل : وأين أعمامك وأخوالك وأهلك الأقربون؟.. وأين سعيهم مع الطرفين لكي يضع كل منهما مصيركما المجهول في اعتباره وهو يشن حرب القضايا على شريكه السابق ويدفع الاتعاب الباهظة للمحامين الكبار ؟.. ولماذا لم يفكر أحدهما في تدبير مأوى لكما ولو في شقة مفروشة ببعض هذا المال الذى ينفقه على القضايا والصراع ؟!

فإذا كنت تسألني هل « توجد » لدى الإنسان نفس العاطفة التي توجد لدى الحيوان تجاه ابنائه .. فإن سؤالك الأليم ليس سؤالا تنتظر الاجابة عنه ، وإنما هو زفرة صدر ممرور مما قد

تتردى إليه فى بعض الأحيان مشاعر البعض من جحود وأنانية ولا مبالاة بمصير ثمرات القلوب .. وإذا كان ثمة سؤال يبحث عن إجابة له حقا .. فهو هذا السؤال الذى أتوقف أمامه كثيرا فى مثل هذه المآسى الزوجية .. وهو كيف تحول الحب الذى تحدى به أبواك الجميع فى بداية ارتباطهما إلى كراهية ضارية للطرف الآخر ورغبة وحشية فى الانتقام منه ولو بطعنة فى صدر أبنائه منه ؟

ألا يلاحظ معى البعض أن كثيرا من هذه المآسى قد بدأت بحب « تحدى به طرفاه الجميع » وتمسكا به ونجحا فى فرض إرادتهما على الآخرين مما يعنى أنه كان من البداية ارتباطا لا يرشحه العقلاء للنجاح والاستمرار ويرون فيه ما لا يراه طرفاه اللذان حجبت عنهما العاطفة الهوجاء تعارضه من البداية مع أحكام العقل ؟!

إن المثل الهولندى القديم يقول : « إن الحب إذا انقلب إلى كراهية فإنه لا يعرف حدودا » وبعض علماء النفس يقولون لنا : « إن الكراهية قد تصبح فى بعض الأحيان هى الوجه الآخر للحب » وأن هناك نوعا مركبا من العلاقات العاطفية يصفونه بأنه علاقة الحب ـ الكره ، التى تجتمع فيها المشاعر المتناقضة نتيجة لأن أحد الطرفين ينقم على الآخر بعض تصرفاته فيكرهه من أجلها .. لكنه ينجذب إليه فى نفس الوقت بعاطفة أقوى هى عاطفة الحب فيتواصل معه منطويا له على هذه المشاعر المتناقضة .. غير أننى على الناحية الأخرى أؤمن بأن الحب الحقيقى لا يمكن أن يتحول ذات يوم

إلى كراهيـة حقيقيـة للطرف الآخر ، وأنه قد يفـتر أو يموت ، لكنه لا ينقلب أبدا إلى النقـيض ولا يدفع صاحبـه إلى السعى لإيذاء شـريكه السابـق أو تدميـره ، لهذا فـإننى اتحـفظ على حكاية الحب الذى تحدى به أبواك الجـميع فى بداية حياتـهما معـا هذه .. كمـا أتحفظ كـذلك على كل المعانـى البشعـة التى يعكسها انصراف كل من أبويك لحياته الجديدة ، وصراعه مع شريكه الســابق بغيـر أن يجهد نفـسه بالتوقـف أو التفكر فى مصير ابنيه من هذا الحب السابق المزعوم !!

النظرة الأخرى!

أنا سيدة فى الثامنة والثلاثين من العمر زوجة لرجل محترم فى مركز مرموق طيب القلب وعلى خلق كريم ، وقد أنجبنا ثلاثة أبناء أكبرهم الآن فى المرحلة الثانوية ، وقد أحببت زوجى منذ عرفته ومازلت أشعر تجاهه بالحب العميق وأحسن معاشرته وأستريح إليه ولا أشعر بوجود أى نقص فى حياتى وأنا معه ، وقد مضت رحلتنا فى الحياة سعيدة وهانئة وخالية من المنغصات ولم يحدث بيننا طوال حياتنا معا أية خلافات جادة ، وإذا أختلفنا حول أمر من الأمور الهينة فما أسرع ما ينتهى ، وما أسرع ما أصفح وأنسى لأننى أحب زوجى .. وأقدر له عشرته الجميلة وحنو قلبه ورقته ، غير أنه قد جد جديد كدر علىّ صفو حياتى ، وجعلنى أنطوى على نفسى وأبكى كثيرا ولا أجرؤ على أن أشكو لأحد منه .. فنحن نقيم فى عمارة بأحد أحياء القاهرة ويقيم بالقرب منا أحد أقارب زوجى ، وهو رجل يقترب من الستين ويعتبر فى منزلة عم زوجى ، وزوجته سيدة محترمة وفاضلة تعاملنى بكل الحب والاحترام وتوجهنى لما فيه خيرى وخير

أسرتي وأبنائي ، ولا تبخـل علي بالمشورة والنصيحة ، واعـتبرها بمثابة أم لي ، أما زوجها فقد كان دائما ينظر إليّ باعتباري ابنة له وأنظر إليه باعتبـاره أبا لي ، لكنه ومنذ فترة غير قصـيرة تغيرت نظراته لي فجأة وأصبح ينظر إليّ « نظرة أخرى » ويفرض نفسه عليّ ويتعامل معي بأسلوب رخيص لا أقبله لنفسي ، كما بدأ يقول لي كـلاما عـجيـبا بدعوى المزاح والتـهريـج عن أنني جمـيلة .. وجسمي كقطعة من الشيكولاتة وكيف أنني « خسارة في زوجي» وأنه يحـبني .. إلى آخـر هـذا الكلام الرخـيص العـجيب .. وقـد اندهشت لهذا الكلام في البداية واعتـبرته نوعا من المجاملة الزائدة لكني انزعـجت له بعـد قليل وشـعرت بالخـوف الشـديد من هذا الرجل ، ورفضت أن أتجاوب معه في هذا التـهريج السخيف وبعد أن كنت أثق فيه وأرحب بوجوده فـي بيتي في أي وقت ، أصبحت أخاف منه وأخـشى أن يدخل بيتي في غياب زوجي ، ولقـد أجبت على كـلامه الغـريب لي بأنني أحـب زوجي ، وأنه هو وأبنائي هم أغلى ما في الوجود بالنسبة لي ، لكنه لم يكف بالرغم من ذلك عن هذا التهريج وواصل محاولاته السمـجة معي وتحيرت طويلا ماذا أفعل مـعه .. وكيف أعـيده إلى الطريق السليم .. وشعـرت بضيق شديد ولم أستطع تحمل هذا البلاء طـويلا وتشجعت قليلا فألمحت لزوجي بأن عمه يضايقني ويغـازلني ، فلم يصدق ذلك في البداية ودهش له كثيرا ، وفسره بأنه مجرد مزاح وتهريج من رجل كبير يعتـبرني في منزلة ابنته ورجـاني ألا أردد هذا الكلام لأي إنسان آخر سـواه حتى لا أتسـبب في فضـيحـة كبـيرة للأسرة كـلها ..

وشعـرت بالعجـز والقهـر إزاء ذلك لأننى خجلـت من أن أصارح زوجى بأكثـر مما قلت له مما لا يمكن أن يكون مجالا لأى تفسير برىء لما يفعله عمـه ، وكتمت ضيقى فى نفـسى وواصلت حياتى على أمل أن يكف الرجل عما يفعل ويرجع إلى سـابق عهده معى ، لكنه لم يكف ولم يتوقف وإنما تمادى فيـه وبدأ يحاول أن يلمسنى بحركات تبـدو فى الظاهر بريئة ، كأن يفتـعل الاصطدام بى عفوا إلى آخر هذه الألاعيب الرخيصة ، ولم أطق صبرا على ذلك وألمحت لزوجى مرة أخرى بأن قريبه لم يتـوقف عن مضايقتى وإنما تجرأ أكثر على ، فطـالبنى بالتحفظ إزاءه وتجنب فرص اللقـاء معه ومع زوجـته ، فـفعلت ، وأصـبـحت لا أكاد أغـادر غرفـتى ، ومع ذلك لم يرحمنى هـذا الرجل ، ولم يكف عما يفـعل فأصـبحت لا أطيق مرآه وأخـشاه ، وأصـبح أبنائى يضيـقون بتـصرفاته المـراهقة ، وزوجى لا يدرك عمق المشكلة لأننى لم أصارحـه بكل شىء حرجا منه ، ولكيلا تحـدث كارثة أو فضـيحة عائليـة بسببى ، كـما أننى لم أرد أن أهين هذا الرجل أو أن أحرجـه مراعاة لزوجتـه .. فماذا أفعل حـتى أتخلص من هذا البلاء .؟. هل أصارح زوجـته وأولاده بما يفعل معى ؟.. وكيف يكون الحال لو ظنت زوجته أننى أشجعه على ما يفعل ؟.. إننى أرجوك أن توجـه إليه كلمة ، أن يتقى الله فى حرمـة البيوت .. وأن يمـتنع من تلقاء نفـسه عن دخـول بيتى فى غـيبة زوجى .. وأن يـعلم جيـدا أننى أحـب زوجى وأحتـرمـه .. وأرفض هذا الانحدار وشكرا لك .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

هناك حقيقـة نفسية نحتاج لأن نعرفهـا ونحسن التصرف إزاءها على ضوء ادراكها وفهمها وليس عن جهل بها .. أما هذه الحقيقة فهى أن الرجل إذا استـجاب لبعض عوارض ما يسمى بأزمة منتصف العـمر وتملكته الرغبة فى أن يثـبت لنفسه أنه مازال الـرجل القادر على التـأثير فى الجنس الآخـر ، فإنـه قد يتوجه بمحاولاته هذه إلى من يحطن به من النساء فى دائرته العائلية القـريبة بنفس القدر الذى قد يتـوجه به ـ إذا اتيحت له الفرص ـ لمن يعرفهن فى دائرة العمل والصداقات ، لهذا فإن تعامل المرأة المتزوجـة مع الرجال من دائرة الأهل المقربين على أسـاس أنهم أقـرباء مـبـرؤون من رغـبـات الرجـال الغـرباء وبعيـدون عن التأثر بنزواتهم وأهـوائهم خطأ مبدئى يـنبغى الاحتراس مـنه .. لأن تغير نظرة الرجال لمن حـولهم من نساء الأسرة أمر وارد من الناحية النفسية فى أى مرحلة من العمر ، ومن واجب الزوجة المحصنة ألا تنسى فى تعـاملها معهم أنهم وإن كانوا من الأهل المقربين ، إلا أنهـم فى البداية وفى النهاية رجـال لهم بدواتهم ونزواتهم وأهواؤهم الجـامحـة فى بعض الأحـيـان ، ويقتـضى ذلك منهـا ألا تركن إلـى الثقـة فى عـدم احتمـال تغير نظرتهم إليها ذات يوم ، وأن تلتـزم فى التعامل معهم بما تلتزم به من التحـفظ الحكيم فى التعامل مع غيرهم من الرجـال ، وأن تحذر التـمـادى معـهم فيـمـا يغريهم بهـا وبالاجتـراء عليها بالمغازلة ، ذلك أن بداية الخطأ فى الـعلاقة بين المرأة المتزوجـة والطامع فيها هو « تقـبلها » ولو من باب

الحرج لإعجابه بجمالها الجسدى ، أو تجاوزها عنه بغير لفت نظره بالنظرة الصامتة .. وبملامح الوجه المتحفظة والمتجهمة إلى أنه قد طرق بابا لا يحق له مهما تكن قرابته أو صلته بها ، أن يطرقه ويكفى ذلك فى بعض الأحيان وحده لأن يردع ذوى الحياء عن تكرار المحاولة ، بغير الحاجة إلى صدام علنى معهم أو اثارة زوابع عائلية غير مأمونة العواقب . أما السكوت على كلمات الاعجاب بجمال المرأة المتزوجة من رجل أجنبى عنها إما تحرجا من أحراج قائلها أو طربا لها فإنه يمثل بالنسبة له دعوة ضمنية للاستمرار فى المحاولة ومواصلة إطلاق السهام المسمومة إلى أن تصيب الهدف ، لا فرق فى ذلك بين قريب وغريب ولا بين شاب ورجل فى الستين ، وبعض الرجال يتعاملون مع المرأة بمنطق الروائى الفرنسى جى دى . موباسان الذى كان يقول إن المرأة قد تغفر للرجل مغازلته لها واعتراضه لطريقها ، لكنها لا تغفر له أبدا إهماله لها أو عدم تأثره بجمالها !!

وهو منطق فاسد بغير شك .. يقابله المنطق الآخر الذى تؤمن به الفضليات من النساء والذى تعتبر معه المرأة المتزوجة محاولة أى رجل آخر لمغازلتها مع علمه المسبق بأنها زوجة لغيره إهانة صريحة لأخلاقياتها واتهاما معيبا لعفتها وإخلاصها .. وشهادة علنية من جانبه بسوء ظنه فى سلوكها ومبادئها ، إذ لو كان ينطوى لها بالفعل على ما تستحقه من احترام لأخلاقياتها ووضعها كزوجة وأم .. لما تصور إمكان تساهلها فى هذه المبادىء أو استعدادها للتجاوب مع غزله لها .

ومن هذا المنطلق يكون رد فـعلهـا على من يتـهمـها بسـوء الخلق صاعقـا ومكافئا لسوء ظنه بها ، ويكون اسـتياؤها منه بالغـا وحـاسـما ولا يـعطيـه أية بارقـة أمل فى إمكان تكرار المحاولة .. ولا يعنى ذلك أبدا أن يكون رد الفعل هذا صاخبا أو ملحوظا من الآخـرين ، أو سـببا فى إثارة فضيحة عـائلية .. وإنما يعنى فقط أن يكون صـارما ومزيلا لكل شبـهة فى نفس المجترىء عليها بغزله ودعوته لها إلى الخطأ ..

والمرأة قادرة دائمـا على أن تصعق كل من يجترىء علـيها ولو بنظرة واحدة منها توقـفه عند حده .. وبتعبيـر الاستياء الصـارم على وجهـهـا الذى ينبئـه بأنه قـد أخطأ الطريق من البداية ..

أما « التـحاور » معه ومـحاولة اقناعه بأنها تحب زوجـها وأولادها ولا تعـدل بغـيـرهم أحدا ، فـإنه لا يمـثل بالنسـبة للمـجـترىء عليـهـا سـوى « بداية » طيبـة للحـوار حـول الموضـوع .. واشـارة خـاطئة إلـى أنه موضـوع قـابل أصـلا للمناقشة فيأمل أن تستمر المناقشة حوله وأن ينجح مع اطراد الحوار فى أن يثقب جدار الرفض ذات يوم .. والنسمة الخفيفة التى تطفىء الشمعة هى نفسـها التى تذكى النار كما يقول لنا الحكيم الفرنسى لاروشفوكو ، ولهذا فإن مجرد تبادل مثل هذا الحوار بين زوجـة محصنة ورجل أجنبى عـنها إنما يعنى من حيث قـد لا تشعـر هى أنها قـد رفعت بالفـعل درجة العـلاقة بينهما إلى مستوى الخصوصـية الذى يسمح لهما بتبادل هذا الحوار السرى الذى لا يسعدهما أن يطلع عليه غيرهما .. حتى

ولو كانت نية الزوجـة صادقة بالفعل فى التمسك بـإخلاصها والتزاماتها الأخلاقية ، والإمـام الشافعى كان يقول لأصحابه : « نزهوا أسماعكم عن استـماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به ، فإن المستمع شريك القائل » ..

لهذا فأنت يا سيـدتى لست فى حاجة لأن أناشد هذا الرجل العابث أن يكف أذاه عنك وأن يرعى حرمـة البيت الذى إئتمنه صاحبه على دخوله ، لأن كل ذلك لن يجدى معه فتيلا .. وإنما أنت تحـتاجـين فقط إلـى أن توقفى هذا الحـوار الذى لا طائل تحته مـعه .. وأن تصعقيه بنظراتك الغـاضبة ، وازدرائك له وتجنبك لرؤيتـه والتـرحيب به فى بيـتك سـواء فى حضـور زوجك أو غيـبته ، وتفـاديك أية فرصة يمكن أن يتـحدث إليك خلالها حديثه المسموم هذا أو يقترب منك .. وسيكون ذلك أبلغ تأثيـرا فيـه من أى مناشـدة من جـانبى أو « حوار » آخـر من جانبك عن حبك لزوجك واخلاصـك لـه ، فإن لم يرتدع عن غيه بعد كل ذلك فلا مـفر من مصارحـة زوجك بالحقـيقة الكاملة .. ليرى رأيه فيما يفعل قريـبه .. ويتخذ من الإجراءات ما يحفظ عليك كرامتك ويحميك من اجتراء هذا السفيه عليك .

النظــرات المتبــادلة!

أنا سـيدة تجـاوزت الأربعين بقـليل .. زوجة وأم لثـلاثة أبناء ومشكلتى للأسـف ليست كغيرها من مشـاكل الحياة الزوجـية ، وإنما حكمت عـلى الأقـدار بأن أكـابد مـشكلة من المـشكلات التى لا يستطيع من يعـانيها أن يتـخفف من ثقلها الجـاثم على صدره بالحديث عنهـا والشكوى منها لأحد مـهما كان مـقربا منه .. فلى شقـيقة تصـغرنى بثمـانى سنوات وهى زوجة وأم مـثلى .. وقد فتحت لها صدرى وبيتى واصطحبتها معى فى نزهاتى وخروجى إلى النادى واجازاتنا الصيفية بالرغم مما كنت أشعر به من غيرتها المكتومة منى لأن زوجى أفضل من الناحية المادية من زوجها ..

ومنذ فترة غير قصيرة بدأت ألاحظ شيئا غريبا كنت فى البداية أرفض تصديقـه ثم اضطرتنى الأحوال العـجيبة إلـى التسليم به ، فلقـد بدأت ألاحظ نظرات العـشق والهـيام المتبـادلة بينهـا وبين زوجى ! كما بدأت ألاحظ اهتمام زوجى الـشديد بها وحرصه على على أن ترافـقنا فى كل مكان نذهب إليـه ، وسـعـادته الواضحـة وحيويته وابتهاجه حين تكون معنا .. وملله وجموده وصمته حين نكون فى مكان لا توجـد فـيـه .. وبالرغم من كل ذلك حـاولت ألا

أصـدق ما أرى وأنكرته بشـدة وقلت لنفـسى إنهـا ليست سـوى العلاقة الحميـمة التى تجمع بين « أخ » و « أخته » ! إلى أن ذهبنا إلى المصـيف فى العـام الماضى وهى مـعنا .. وبدأ الشك يتـحـول عندى إلى جحيم ، فقـد كانا يختفيان فجـأة بالساعات ثم يظهران منفـصلين أحدهـما وراء الآخـر بربع سـاعـة ، ويقـدم كل منهمـا تفسـيرا غير مـقنع لغيابه المفـاجىء .. واكتويت بالغيـرة والحزن الشديدين وعند العودة من المصيف تكرر الاختفاء الغامض إلى أن علمت عن يقين أنهما يلتقيان كل يوم ويمـضيان معا بضع ساعات بعيدا عنى .. وتأكدت من ذلك بما لا يدع أى مجال للشك .

فـمـاذا أفـعل يا سـيدى لـكى أتخلص من هذا الجـحـيم الذى لا يدرك أحـد لظاه سواى ! إننى إذا طـلبت من زوجى الطلاق فلن يمانع فيه.. بل سيرحب به لكى تزول العقبة الكؤود من طريقهما .

ولو فـعلت ذلك وطلقنى بالفـعل .. فمـاذا سـتـفعل أخـتى التى باعتنى على هذا النـحو الرهيب ؟.. هل سـتـحصل على الطلاق من زوجهـا لتتـزوج من زوجى وهذا ما أرجحـه ؟ وهبهـا فعلت ذلك فكيف سـتكون صـورتها أمـام العـائلة والأبناء ؟ وإذا لم أفـاتـح زوجى ولم أطلب منه الطلاق .. كيف استطيع احتـمال حياتى وأنا أعلم علم اليقين أنه يلتقى بها كل يوم وأنها قد أصبحت « زوجته » أكثر منى ولها عليه من الحقوق ما لم يعد لى عليه منها ؟

هل انتحر أم أقتلهما معا .. أم ماذا أفعل ؟

لقد فكرت فى مـقاطعتها مـقاطعة تامة لكى اسـتريح من رؤية « الحب » فى عيونهـما ؟ لكن هذا الحل سيساعدهمـا على الالتقاء أكثر ، وإذا استمريت فى علاقتى بهـا فإنى احترق بنيران الجحيم

وأنا أراها تستولى على زوجى منى ولست فى الحقيقة ألومه بقدر ما ألوم هذه الأخت الشيطانة التى لا تعرف غير رغباتها ومتعتها ولو كانت غير مشروعة ، ولا تخاف من ربها ولا تخشى علىّ من انهيار بيتى ، ولهذا فإننى أوجه اللوم كل اللوم لها ، لأن المرأة هى المسئولة بالدرجة الأولى عن اجتذاب الرجل أو صده عنها ولأن زوجى لم يكن ليستطيع أن يقترب منها إلا إذا كان قد وجد كل التشجيع ، وكل الاستعداد منها .. فكيف هانت عليها نفسها وهنت أنا عليها إلى هذا الحد المشين - وكيف ترضى لى - أنا أختها وصديقتها - بما لا ترضاه لنفسها وهى ترى العذاب والألم فى عينى وتعلم أنها السبب فيهما دون أن تتوقف عما تفعل ؟

إننى أرجوك أن توجه لها كلمة بأن ترعى الله فينا جميعا ، وفى أبنائنا لأننى لا أستطيع مواجهتها ، حيث أعلم جيدا أنها وزوجى سوف يستمران فيما يفعلان مهما واجهتهما لأنها تثق بأن زوجى يحبها أكثر منى ومن حقها أن تفعل ما تريد !

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

هناك « أحوال » لا مفر من التعامل معها بمشرط الجراح الذى يفضل البتر والاستئصال ، على محاولات العلاج التى لا تجدى سوى انتشار الداء فى بقية الجسم .

وقصتك المحزنة هذه من هذه الأحوال التى لا مفر من التعامل معها بمنطق البتر والاستئصال ، والاجراء الوحيد الملائم لها هو مواجهة الزوج أولا ومطالبته بالانفصال أو على الأقل بالاختيار بين الكف عما يفعل بلا رجعة أو الطلاق ، ثم

مواجهة مثل هذه الأخت التى لم ترع للأخوة حـرمة بجريمتها ومقاطعتـها مقاطعة تامة ناجزة لا تجمل فـيها ولا مداراة إلى أن تفيق من غيها وتندم ندما صـادقا على جنايتها وتكفر عنها تكفيرا كاملا ولو بعد حين .

غير أنك ـ وكما فهمت من رسالتك ـ لا ترغبين فى أن تفقدى زوجك أو أن تنفصلى عنه وتعلمين عن يقـين أن انسحابك من حياته الآن لن يكون له من عائد سـوى أن يخلو له ولشريكته المجـال لاستكـمال خطتـهـما الشـائنة .. وقـد لا يمـضى على انفـصالك عن زوجـك وقت طويل حتى تكـون هى قد حـصلت على حريتـها من زوجها .. وتـوجت قصتهـا المخجلة مع زوج أختـها بالزواج منه ضـاربة بذلك لأبنائها وأبنائـك أسوأ المثل على انعـدام الوفـاء فى الحـياة .. وامتـهان الـقيم العـائليـة والإنسـانية جـريا وراء الأهواء والرغبـات .. وصانعـة بذلك مأساة « إغـريقية » جديدة تهتـز فيها المثل والقـيم فى مخيلة الأبناء .

ولأن الأمر كذلك فإنى أنصـحك بمجافاة هذه الأخت اللعينة ومقاطعتـها فى صمت مقاطعة لا تتيح لهـا فرصة الوجود فى حياتك الأسـرية بلا أى محاولة من جانبك للشرح أو التفـسير تاركة لها بذلك أن تفـهم عنك أنك لن تقفى من الآن ذلك الموقف السلبى العاجز مما يجرى حـولك ، حتى ولو كان ثمن ذلك هو اتاحة الفرص أكثر لهما للالـتقاء فى غيبتك .. ذلك أن وجودها فى حياتك العـائلية لم يحل ولن يـحول بينها وبـين ما تفعله مع زوجك .. وعلاقتك بها لا تردعها عن الاستـمرار فيها .. فما

معنى اذن أن تتـعذبى بملاحظة مشـاهد الحب والاتصال بين الطرفـين وأنـت تحـتـرقـين بنيـران الجـحـيـم فى أعـمـاقك ولا تستطيعين البوح بما تتعذبين به أو الشكوى منه !

أمـا زوجك فلقـد كنت أفـضل المواجـهـة الصريـحة مـعـه وتخـييـره بين الكف عـمـا يفعل .. أو الانفـصـال عنه ، لكنك لا تقـدرين على تبعـات هذه المواجـهة .. وتشـعرين بضـعف موقفك فيها مع أنه هو من ينبـغى له أن يشعر بضعف موقفه وتخاذله فى هذا الوضع الشائن .

ومـا دام الأمـر كذلـك فلقد يـكون من المفيد فى مـعـركـتك للاحتفاظ به وحمايتـه من براثن الأخرى ، أن تلمحى له بغير تصـريح إلى فـهـمك لما يدور أمـامك ورفـضـك القـاطع له ، وتمسكك بالرغم من جراحك واحزانك بالأمل فـيه وفى عودته ذات يوم قـريب إلى الـطريق القـويم .. حـرصـا عليـه مما لا ترضينه له من الاستمرار فى الدنس والخطيئة وفقد الاعتبار ، وإعـلاء لسعـادة الابناء واستـقرارهم على كل الاعـتبـارات .. عسى أن يفـيق من غيه ويخـجل من نفسـه ويرجع إلى رشده ويعرف أن من تضحى بأختها وبكـل القيم الدينية والأخلاقية والعائلية لكى تظفر به لا تساوى فى حقـيقة الأمر قلامة ظفر ولا تستـحق أن يفقـد من أجلها زوجتـه وأم ابنائه واستـقرار حياته العائلية .. و « صورته » كزوج وأب ورب أسرة ينبغى أن يكون له مـا لأمـثـاله من احـترام وإجـلال فى عـيـون من حـوله .. أمـا مناشـدة تلـك « الأخت » فـلا طائل تحـتـهـا .. ومثيلاتهـا قد لا يجدى معهن سوى التهديد بهـتك سترها أمام

زوجهـا وأبنائها غيـر أن أختك الفريدة من نوعـها « تتمـيز » عليهن بـشيء آخر ليس فى صالحك لـلأسف الآن .. وهو أنها ليـست حريصـة على زوجـها ولا أبنائهـا ولقـد يسعـدها أن تتورطى فى تصعيد الأمـر معها على هذا النحو بما يؤدى إلى انهيار حيـاتها الزوجية فتضـيف بذلك إلى « مؤهلاتها » لدى زوجك المسلوب مؤهلا جديدا هو أنها ـ واحسرتاه ـ قد خسرت حياتها العائلية من أجله وبالتالى فإن واجبه أن يعوضها عما خسـرت ، بالانفصال عنك .. والزواج منهـا واستكمال فـصول هذه المأساة الأخلاقية المخيفة .. ولا حول ولا قوة إلا بالله !

حصاد الصبر!

أكتب لك هذه الرسالة فى مناسبة مهمة فى حياتى أردت أن أشركك معى فيها وأن أذكرك بدورك الذى قد تكون نسيته الآن فى إتمامها .. فأنا مهندس شاب بوزارة الرى عمرى ٣٨ عاما .. وأما بداية القصة فلعلك تذكر الرسالة التى نشرتها منذ أكثر من عامين بعنوان « الإصرار » وكانت لسيدة متزوجة ولها طفلتان تروى لك فيها عن جارتها الشابة الجميلة البالغة من العمر ٢٩عاما وتقيم بجوارها فى شقة وحدها .. وتقول لك فى رسالتها أن قصة هذه الفتاة قد بدأت منذ سنوات حين كانت فى طريقها إلى كليتها بجامعة عين شمس فصدمتها سيارة مسرعة وحملها المارة إلى المستشفى فتبين أنها قد أصيبت للأسف بشرخ فى العمود الفقرى ، وبعد رحلة عناء طويلة بالمستشفيات فى الداخل والخارج ، رجعت إلى حياتها جالسة فوق مقعد متحرك ، ولم تترفق بها الأقدار فرحلت أمها عن الحياة بعد قليل ، ووجدت نفسها وحيدة فى مسكنها الخالى بعد زواج الإخوة ، وانشغال الأب الذى يقيم فى مسكن آخر بحياته وأعماله ، ولأن كل إنسان مشغول بحياته فلقد أصبحت وحيدة تماما فى مسكنها المجهز بكل

الأجهزة وتقـوم بشئون نفسها وتنـظف شقتها وتطهو طعـامها ، وتقدم إليها رجل متزوج فرفـضت أن تطلب سعادتها على حساب تعاسـة إنسانة أخـرى ، وتقدم إليهـا من جاءها طامـعا فى مـالها وحده فرفضـته لأنها ترجو أن يجمعـها ربها بمن يرغبها لـنفسها فتحـبه ويحبهـا ، وفى النهاية طلبت منك هذه السيـدة الفاضلة أن تكتب لجارتها الشابة أن الاعاقة ليـست نهاية الحياة وأن أحلامها ممكنة التحقق حين يأذن الله بذلك .

ونشرت الرسالة ورددت عليها بما ألهمه الله لك من كلمات طيبة ومـشجـعـة مؤكـدا للفـتـاة ولمثيـلاتهـا أن نسـبة نجـاح الزواج واستمراره فى الحالات الإنسانية الخاصة أعلى منها بقدر ملحوظ فى الحالات العادية ، وأن خبراء الاسـتشارات الأسرية فى الغرب يرجـعون ذلك إلى أن درجـة الإصـرار على النجـاح تكون عاليـة للغـاية عند الطرف الذى يعانى من الحـالة الإنسانيـة ، فيـبذل كل ما فى وسعه لإنجاح الزواج ويجد ذلك صداه المتوقع لدى الطرف الآخر فيـتجاوز الطرفـان الهنات الصغيرة التى قـد يتوقف عندها الآخرون فى الظروف الطبيعية .

وفى هذه الفترة كنت أمـر بأزمة نفسية شديدة بسـبب عاصفة الأحزان التى هبت على حياتى قبل فـترة قصيرة ، وليلة نشر هذه الرسالة كان ألمى قد بلغ منى حدا مـضاعفا ، وشكوت إلى صديق متـدين ما يضيق به صـدرى فنصحنى بأن أدعـو ربى فى صلاة الفـجـر كل ليلة بهـذا الدعـاء : « رب إنى لما أنزلت إلىّ من خـيـر فقيـر » ، وسألنى لماذا لا أمضى هذه الليلة معه فى المسـجد حتى نصلى الفجر مـعا عسى أن يذهب الله عنى الحزن ، واسـتجبت لما

نصحنى بـه وأمضيت تلك الليـلة معه فى المسـجد قـائما أصلى .. أو جالسا أقرأ القرآن الكريم ، أو متأملا فى صمت .. وفى الصباح المبكر خرجت إلى الشوارع واشتريت الصحيفة فوجدت فيها قصة هذه الفتاة فـشعرت بأنها قد تكون ضـالتى التى أبحث عنها دون جدوى ، ووجدت نفسى أكتب إليك معلقا على قصتها .

ونشرت رسـالتى بعنوان « العاصـفة » ورويت لك فيـها أننى مهندس عمـرى ٣٦ سنة ـ وقتها ـ وإنه كـانت لى ذات يوم قريب أسرة صغيرة وزوجة غير مـصرية تزوجتها بالرغم من معارضة أهلى لزواجى مـنهـا ، وإن هذا الزواج كـان بداية لعـاصـفـة من الأحـزان فى حيـاتى الخـاصة حـيث رحل أبى عن الحـياة عـقب زواجى مباشرة ، ومن بعده أمى أيضـا يرحمهما الله ، ثم لم يمض وقت طويل على رحيلهـما حتى سقطت طفلتى الوحـيدة من الدور الثالث بسـبب إهمال أمهـا فى رعايتهـا ، ورحلت هى الأخرى عن دنيا الألم والأحزان ، فلم أسـتطع احتمال الحيـاة مع زوجتى بعد ذلك وانفـصلت عنها بالطلاق ، وعـشت وحيـدا فى شقـة بإحدى المدن الجديدة ولم يعد لى من أهل سوى شقـيقين يقيمان فى حى بعيد ، وفى خـتام رسالتى إليك تساءلت ترى هل تقـبل هذه الفتاة الارتباط بى على سنة الله ورسولـه عسى أن يواسى كل منا الآخر ويعـوضه عن وحـدته وأحـزانه الماضـية ؟. وبعـد أيام من نشـر الرسـالة زارتك هذه الفـتـاة فى مكتبـك فوق مـقـعدها المـتحـرك يصحبهـا عمها ، وقمتم بتسليم العم عـروض الارتباط التى تلقاها مكتبكم بشأنها ، وفوجئت بعد أيام باتصال من والدها بى يدعونى فيـه إلى مقابلته فى بيـته ، فتـوجهت إليه مسـتبشرا ومـؤملا أن

يحقق الله لى أمنيتى فى السعادة والأمان ، فكان لقائى الأول بالأب فى مسكنه الذى يعيش به مع ابنه الأصغر وحدهما ولم أجد الفتاة المقصودة .. وشرحت للأب ظروفى ورغبتى فى الارتباط بابنته فلمست منه التحفظ وعدم الترحيب ، ثم طلب منى الانصراف بعد قليل لأن هناك زائرا آخر عن طريق بريد الجمعة سيحضر لمقابلته بشأن ابنته !

وانصرفت متخاذلا ومتشائما وشكوت لصديقى الذى علمنى الدعاء المفضل ما لقيت من تحفظ الأب وعدم ترحيبه بى .. وأرجعت ذلك إلى ظروفى كمطلق .. فسألنى ولماذا لا تطرق بابا آخر كعمها مثلا ، ونفذت النصيحة وتم اللقاء بينى وبين هذه الفتاة لأول مرة فى بيت عمتها ، فما إن التقيت بها والتقت بى حتى قُضى الأمر الذى كنتم فيه تختلفون .. وشعرت بأنها الفتاة التى كنت أبحث عنها من قديم الزمان ، وقالت هى لعمتها عنى إننى الشخص الذى رأته فى أحلامها يأتى إليها .. ويملأ فراغ حياتها بالحب والحنان .. واتفقنا على الارتباط .. لكنى علمت أن والدها لا يشعر تجاهى بالارتياح وأنه يرفضنى لأسباب مختلفة منها ظروفى السابقة ومنها أنه تساوره الشكوك فى نيتى فى استغلال ظروف ابنته الإنسانية .. و « الاستفادة » من مالها وهو مبلغ حصلت عليه كتعويض من جامعة عين شمس عن الحادث الذى تعرضت له وتحتفظ به كوديعة فى البنك ، ولم أغضب من الأب ، لكنى حزنت وتعجبت كيف يصد عن ابنته شابا يرغب فى الارتباط بها لمجرد ظنون ليس هناك أى دليل عليها .. وأى مال يمكن أن يسعى إليه شاب مثلى فقد طفلته الوحيدة قبل عامين

ويعـانى مـن وحـدته وأحـزانه ؟!

ولم أدر فى حينه بما دار بشـأنى بين الأب وابنته ، لكنى علمت فـيمـا بعـد أنه رفـضنى ، وأن ابنتـه تمسكت بى بشـدة وأعلنتـه برغـبتـها فى الارتبـاط بى فاسـتجـاب لها بضـغط من شقـيقـه وشـقيـقتـه . وذهبت للقائه فـى مسكنه أخـيرا وقـرأنا الفاتحـة ، واستجبت لكل مطالبه بلا ممانعـة .. قال لى إن مسكنى بعيد وفى الدور الثالث ولا يصلح لابنته ، فوعدته بتـغييره وسعيت إلى بيع شقتى بالمـدينة الجديدة ، وقبلت بيعـها بثمن بخس ، وحدد قـيمة الشبكة والمهـر والمؤخر فقبلت بكل مـا أراد ، وطلب منى أن أعطيه ثمن الشقة بعد بيعها ليودعه فى البنك باسمه إلى أن أحضر الشقة الجديدة لكيلا أتنصل من وعـدى بإحضار شقة أخرى لابنتـه غير شقتها التى تقيم فيها وحـيدة وهى صغيرة ، فقبلت بذلك ووعدته به ونفذته فيمـا بعد بالفعل .. كل ذلك وأنا سعيد ومتـفائل وأشعر بأن كل لقاء بينى وبيـن هذه الفتاة يقرب بـيننا والأب على ما هو عليـه من تحفظ وعدم حـماس .. وحـددنا موعـد عقد الـقران فى المسجد ورفض الأب أن يشـترى لابنته فستـانا أبيض رغم قدرته المالية ولا أن يسـمح لى بشرائه ، وقبلنا بذلك صامـتين ، ورفض استـدعاء كوافيـرة لزينة المحجبات من مـثيلات ابنتـه وقبلنا بذلك راغمين ، ورفض أن تذهب معى لشراء الشبكة ، ولم أعترض على ذلك وتم عقد القران فى تحفظ أقرب إلـى التجهم والجفاء الصامت منه إلى الفـرحة والابـتهـاج ، وانصرف الأب عـقب عـقد القـران وحملتنا السيارة إلى مسكن زوجـتى ، فما إن اقتربنا منه حتى بدأ الفرح الحقـيقى الذى لم نجده من قبل .. فلقد التف حـولنا جيران

زوجتى الطيبون ومنهم السيدة الفاضلة التى كتبت لك عنها ، وبدأ الطبل والزمـر والغناء والزغاريد والابتـهاج الصـادق الصادر عن القلب بلا شـائبة واندفـعت السيـدات الفـاضلات وبناتهن يقـبلن زوجـتى ويغنين لهـا ويداعـبنها وانفـعل جـار طيب على المعـاش فأخرج مسـدسه وأطلق منه عدة طلقات فى الهواء طربا وابـتهاجا بسعادة هذه الفـتاة التى طالما تعاطف مع ظروفهـا من قبل وحمل إلينا الجـيـران الطعـام والشراب والتـورتة وشـاركـونا فـيهـا .. ولم يغادرونا إلا عند منتصف الليل وهم يوصوننا بأن نبدأ حياتنا الزوجـية بأداء ركـعـتى شكر لله عـسى أن يبارك لنا فـى حيـاتنا وصحبتنا وسعادتنا .

وبدأنا حـياتنا الـزوجيـة معـا وكل منا كـالأرض العطشى إلى الحب والحنان والعطف من شريكه الجديد .. ووجـد كل منا بغيته لدى الآخر .. فـوجدت فيـها الطيـبة والعطف والاهتـمام الزائد بى والقلق الشديد علىّ إذا تأخـرت عن موعد عودتى إليهـا ولو لفترة يسـيرة ، كـما وجـدت فيـها أيضـا ربة البيت الممـتازة والطاهيـة الماهرة ، ووجدت هى فىّ ما تقوله من أننى أعطيتها كل ما افتقدته فى حـيـاتها مـن قبل من حـنان وحب ورعايـة ، وخلال حـيـاتنا المشتركـة معا بعت شقتى فى المدينة الجديدة وحـصلت على شقة بالدور الأرضى بالإيجار الجديد أوسع من شقـة زوجتى السابقة لكى يتسع مجال الحـركة أمامها .. وكتبت عقد الإيـجار باسمها ، وفـتـحت بإذن من المـالك بابا من المطبخ إلـى الشـارع ورفـعت مدخله بحـيث يصبح منزلقـا ليسـمح للكرسى المتحـرك بالدخول والخروج ، واشتريت بما تبقى معى من ثمن الشقة سيارة مجهزة

لزوجتى وكـتبتـها باسمـها .. وأهديتهـا مقعدا مـتحركـا جديدا ، وأعطيتـها توكيـلا عاما عنى لـلتصرف فى كل شىء .. وسـعدت زوجتى بالمسكن الجديد وصنعت لنفسهـا سريعا صداقات جديدة مع جيـراننا لأنها تدخل القلوب بيسـر ، وتجد دائما من يحبـونها ويتطوعون لخدمتها .. واستمـرت صداقتها بالسيدة الفاضلة التى كتبت لك عنهـا .. ولم تمض شهور حتى كـان جنين الحب يتحرك فى أحـشاء زوجـتى ، وعـاشت زوجتى تجـربة الحـمل بمشاعـر بهيـجة .. واقتـرب موعد الولادة فـحصلت من عـملى على إجازة ودخلت معـها المسـتشـفى ولازمتهـا فيـه حتى وضعـت مولودنا الأول ، ولقد فـكرنا جديا فى أن نسـميـه باسمك لولا أن كـان قد سبق منى النذر إلى الله سـبحانه وتعـالى أن أسميه إذا جـاء ذكرا « عبد الله » .. وإذا جـاءت أنثى « مريم » ولقد أنعم الله علينا بـعبد الله منذ ٢٠ يوما .. وكانت هذه هى المناسبة السعيدة التى أردنا أن نشـركك مـعنا فـيهـا ونذكـرك بقـصتنا مـعك .. ولقـد عـدنا من المستـشفى إلى الـبيت حاملـين مولودنا الصـغير فـتلقتـنا الجارة الطيـبـة الجديدة التى تـناديها زوجـتى « يا خـالتى » بالنصـائح المجـربة فى رعاية الأطفـال حديثـى الولادة وعلّمت زوجتى كـيف تتـعامل مع مـولودها ، وكـيف ترضـعه وتغـيـر ملابسـه الخ .. وساعدتها فى ذلك ، وحملته عنها كثيرا ، وعرضت عليها أن ترعاه فى غيابها إذا اضطرت للخروج .

وها نحن نكتب إليك الآن بعد أكثر من عام من زواجنا وأقل من شهـر من إنجابنا طفلنا الصـغير لنقـول لك أن « الإصرار » الذى تحدثت عنه فى ردك على الرسالة الأولى يدفعنا إلى إنجاح زواجنا

واستمراره .. وأن الحب الذى جمع بيننا يترسخ ويتعملق ويتعمق ، ولقد غير كل ذلك من نظرتنا السابقة للحياة .. فأذهب الله عنا الحزن .. والوحدة .. والمعاناة ، وأنعم علينا بالسعادة والعشرة الطيبة والاهتمام المتبادل .. وتغيرت نظرة زوجتى إلى كثير من الأشياء ، فلقد كانت بتأثير من بعض ما شهدته ولمسته من آلام فى حياتها ، تتوجس من الدنيا وبعض الناس .. فأقنعتها بأن الخير فى الدنيا إلى يوم يبعثون ، ودعوتها ذات مرة إلى التجربة العملية ونحن نتجول فى الشارع وهى على مقعدها المتحرك ، فأبلغتها أننى سأبتعد عنها وأدعها تسأل المارة أن يساعدوها فى عبور الشارع أو فى شراء شىء من المحلات أو أداء أى خدمة لها ، وابتعدت عنها بالفعل .. وجلست هى وحيدة فى مقعدها ثم سألت أول عابر بها أن يعينها على أمرها .. فإذا بكثيرين يتوقفون للحديث معها ويبشون فى وجهها ويعرضون استعدادهم لأداء خدمة لها .. فرجعت إليها مبتسما وشكرت الجميع ودفعت المقعد فى طريق العودة ..

أما أنا فلقد انهمرت علىّ جوائز السماء التى تتحدث عنها منذ تزوجت هذه الإنسانة الطيبة الجميلة وهطل علىّ الرزق الحلال من أبواب السماء بلا حساب والحمد لله .. وسافرت فى مهمة مندوبا من وزارة الرى إلى أوغندا لمدة ٨ أيام لحل مشكلة فنية فى بحيرة فيكتوريا ، وحصلت على بدل سفر بالعملة الصعبة لأول مرة فى حياتى ، كما حصلت منذ زواجى وحتى الآن على مكافآت تفوق فى مجموعها كل ما حصلت عليه من مكافآت طوال مدة خدمتى .. وحصلت لأول مرة فى حياتى على مكافآت بأرقام فلكية بالنسبة

لدوائر الحكومة .. فإن كان لزوجتى الآن من مطلب فهو أن تواصل الاهتمام بمشاكل المعوقين وتدعو الدولة للعناية بهم ورعايتهم والاهتمام بتوفير العلاج الطبيعى والوظيفى لهم لكى يتكيفوا مع حياتهم ، وإلى الاهتمام بإنشاء مداخل منزلقة لهم فى كل المبانى العامة والعمارات كما هو الحال فى الدول المتقدمة ، لكيلا أضطر كما تقول هى إلى حملها بمقعدها كلما ذهبنا لأداء عمل فى إحدى الجهات أو زيارة إحدى الأسر ..

وختاما .. فإنى وزوجتى لا نملك لك فى النهاية إلا الشكر والدعاء .. ونرجو أن تتقبل منا هذا المصحف المرفق وهذه المسبحة المتواضعة رمزا للشكر والحب والعرفان ..

وأنهى رسالتى إليك بهذا الدعاء الحبيب شكرا وامتنانا لله رب العالمين : « رب إنى لما أنزلت إلىّ من خير فقير » .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

مازلت أذكر حتى الآن ملامح هذه الفتاة الطيبة حين زارتنى فوق مقعدها المتحرك مع بعض ذويها عقب نشر قصتها . كما مازلت أذكر أيضا رسالتك التى تضمنت رغبتك فى الارتباط بها وقصتك مع عاصفة الأحزان التى عصفت بحياتك قبلها .

فأية سعادة أن أعرف الآن أن الأقدار الرحيمة قد مسحت على أحزانكما معا وجمعت بينكما فى بيت هانىء صغير .. أثمر الحب فيه ثمرته المباركة ووهبكما الله من لدنه غلاما جميلا ؟

إن فى العالم ـ كما يقول الكاتب المسرحى الأمريكى تيرنس راتنجان ـ ظلاما كثيرا ولهذا فهو يرحب بكل شمعة ولو كانت صـغيـرة تبدد بعض ظلامـه ، وهذه التطورات السـعيـدة فى حياتكما هى شمعة صـغيرة جديدة تصحح عن الحياة بعض أخطائها وتزيل بعض ظلامها .

ولقـد تأملت قصـتكمـا مليا فلم أجـد لهـا عنوانا أبلغ من هذا العنوان « حـصاد الصبـر » ! أى جوائزه التى يعـد الله سبـحانه وتعالى بها الصابرين فى الدنيا والآخرة ويبشرهم بالفوز بها .

ولقد صبر كل منكما على آلامه وأحزانه الشخصية وظروفه الإنسـانية وتعلق أمله برحـمة ربه فى أن يذهب عنـه الحزن ويؤنس وحشـتـه ووحدته ويـهبه السـعادة والأمان فـصدقت النية فى الطلـب . وهيأت الأقدار كـلا منكما لأن يكون لرفيـقه الأمل .. والعزاء وفـدية الأحزان ، فروى أرضـه العطشى بماء الحب والعطف والحنان وارتوى من نبعه .

فإذا كنت قـد ووجهت فى البداية بتـحفظ الأب وتشككه فى نيتك تجـاه ابنته فلكم يخطىء الإنسان التـقدير فى كثـير من الأحيان .. ولكم تفسد علينا الـظنون والهواجس أحيانا ما كنا جديريـن بأن نسعد بـه وتسكن أرواحنا إليه لو كنا قـد غلَّبنا لدينا الإيمـان بخـيرية الحـياة وحـسن الظن بالآخـرين على التوجس منهم والتشكك فـى نياتهم . غير أن فتاتك الطيـبة قد حسمـت الأمر على أية حال بترجـيـحها لحـسن الظن فيك على سوئه . ولم يخذلها حسها الصـادق فيمن توسمت فيه الخير والعطاء والحمد لله . ولكم كان مثيرا للتأمل .. أن تأتى الفرحة

الصادقة والابتهاج الغامر بسـعادة قلبين جريحين من جانب الجيـران والأصدقاء وليس من الأهل وذوى الـقربى . لكن كل ذلك قـد مضى إلى سـبـيله وأصبح من الـذكريات ، ولعله قـد أصـبح أيضـا من تحديات الـسعـادة التى تشـحـذ رغبـتكمـا المشتـركة دائمـا فى الحفـاظ عليهـا والدفاع عنها ضـد ظنون المستريبين ..

والصوفية يقولون لنا فى بعض كـلامهم الجميل إن المحبة هى الموافـقة أى الطاعـة له فيمـا أمـر ، والانتهـاء عمـا زجر ، والرضا بما حكم وقدر . ولقـد رضى كل منكما بما قدر له ربه وحكم .. فكان حقا على السماء أن تـستجيب لدعائه بأن ينزل إليه ربه من الخـير مـا هو فقيـر إليه .. وهذا الدعـاء المفضل لديك بالمناسبـة هو من دعاء سيـدنا موسى عليه السـلام وقد ورد فى الآية ٢٤ من سورة القـصص ، فى سياق قصـتـه حين فر مـن مصـر عقب قـتله لمن كان يقـتتل مع أحـد أبناء قومـه وتوجـهه إلى مديـن خائفا يـترقب داعـيا الله أن يهديـه سواء السبيل ، فرأى عند ماء مدين زحاما غفيرا وامرأتين تتراجعان عنـه يائسـتين مـن السقـيا ، فـسقـى لهمـا ثم آوى إلى الظل « فقال رب إنى لما أنزلت إلىّ من خير فقير » أى أنى فى حاجة إلى ما تسـوقه إلى من خير ورزق فكانت هذه الضـراعة بداية لما أنزل الله إليــه من خـيـر عـمـيم بدأ بزواجــه من إحـدى الفتاتين .. وتوج بنزول الرسالة عليه فى طريق عودته لمصر حين آنس فـى الطريق نارا ناحية جـبل الطور فتـوجه إليـها ليأتى من عندها بخبر عن الطريق أو جذوة منها يستدفىء بها

أهله .. فـإذا بـه يسـمع نداء علويا يقــول له : إنى أنا الله رب العالمين !

فهنيئا لكما ما أنعم به عليكمـا ربكما من خير عميم .. وبشرى لكما « بإصــراركما » المشترك علـى نيل السعادة والحفاظ عـليها وعدم التفريط فـيها ، ذلك أنه بقوة الرغبة فى السـعادة وبالفهم الصحيح لحقائق الحياة ومـا يستحق منها أن يتمسك به الإنسان ويسعى إليه وما لا يستحق ذلك ، يكون عمق السعادة والهناء فى حياته .. ويكون الأمل والعزاء عن كل الأحزان !

الكلمات المحرورة!

أنا فتاة فى الخامسة والعشرين من عمرى على قدر متوسط من الجمال وقدر كبير من العلم ، فأنا خريجة إحدى الكليات المرموقة وأجيد عدة لغات كما أننى متدينة إلى حد كبير وأؤدى كل الفروض الدينية وأرعى الله فى تصرفاتى .. وأبى رجل ناجح كل هدفه فى الحياة أن يوفر لنا ما نتمناه .. أما أمى فهى سيدة لا توصف بأفضل من أنها أم بكل معنى الكلمة .. وأنا إحدى ابنتين رزق بهما أبواى ، فعشنا معا حياة سعيدة كأسرة مترابطة ومتحابة والحمد لله . ولكى أصل معك إلى ما أرغب فى استشارتك فيه ، فإنه يجب أن أرجع إلى الوراء عشرين سنة .. حيث كانت لى خالة تصغر أمى بعام واحد ، وحدث أن تعرضت مع زوجها لحادث سيارة أليم أودى بحياتهما معا ولم ينج من الحادث المؤلم سوى طفلهما الوحيد وكان فى الثالثة من عمره فى ذلك الوقت ، ولما كان أبى يرغب بشدة فى أن يكون له ولد بعد أن رزق بابنتين ، فلقد أصر على أن ينتقل هذا الطفل البرىء للعيش معنا وأصبح منذ ذلك الحين أخا لنا ، وأصبحنا نحن الثلاثة سواسية بالنسبة لأبى وأمى ، واعتدت أن أسمع أمى تشير إليه فى حديثها

معى أو مع شـقيـقتى بكلمة « أخـوك » فإذا أرادت أن تنبـهه إلى موعـد المذاكرة طلبت منى أن أبلغ « أخى » بـضرورة أداء الواجب المدرسى واستـذكار الدروس ، وإذا مرض قـالت لى : أعطى أخاك الدواء فى موعـده .. فلم نشعر فى يوم من الأيـام بأى فارق بيننا وبينه ، وأحبـبناه كمـا تحب الأخت أخاها وأحـبنا هو حبا عـميـقا وصامـتا فى أغلب الأحـيان لأنه قليل الكلام . ومـرت بنا السنون وبلغنا سن الشـباب وفَـهم الأطفـال السابقـون حقـائق الحيـاة ، فلاحظت أن مشاعر الأخـوة التى يحملها لى « أخى » هذا قد بدأت تتحول لديه إلى إعجاب مكتـوم بى ، وأدركت ما طرأ على مشـاعره من تطورات بالنسـبـة لى ، لكنى لم أعطه أيـة إشارة إلى فـهـمى لذلك ، إلى أن جـاء اليـوم الذى اسـتـجـمع فـيه كـل شجـاعـتـه وصارحنى بما خـشيت دومـا أن يصارحنى به ، ووجـدت نفسى أهرب من المواجهة وأقـول له على الفور أنه أصغر منـى بعامين ، لكن ذلك لم يكن يعنيه فى كثير أو قليل ، وظل على حبه لى يظهره لى تارة ، ويكتمه فى صدره تارة أخـرى ، وظللت أنا على موقفى منه وهو أن ما يجمعنى به هو مشاعر الإخوة وحدها ، بالرغم من حبى لصحبته وجلسته وضحكته واهتمامى بكل شئونه .

ومضت فترة ظننت خلالها أنه قد برأ من الهوى .. وظننتنى أنا قد نسيت ما حدث ورجعنا شقيـقين محبين كما كنا دائما .. وتمت خطبـتى لشخص يكـبرنى ببـضع سنوات وتجـمعنا مـعا عـوامل مشتركة عديدة كالمستـوى الاجتماعى والثقافى والمادى فضلا عن مركـزه ومسـتقبله الـذى تحلم به أية فتـاة . وأقمنا حفـلا كبـيرا للخطبـة فى مكان عام ورأيتـنى فى هذا الحفل سـعيـدة وكل من

حولى سعداء مثلى .. حـتى أخى هذا رأيته سعيدا بى وهنأنى من قلبه وقدم لى هدية ثمينة من نقـوده الخاصة لأن له مالا ورثه عن أبويه ويعـمل عمـلا مرمـوقا . ومـضت الأسابيع والشـهور بعـد الخطبـة فوجـدتنى لا أحس بالاقـتراب ممن سـوف ارتبط به إلى نهـاية العمـر بالرغم من حـبه لى ، واقـتناعى العـقلى به ، وعلى الناحية الأخرى فلقد شـعرت بأن حمى هواى قد عاودت « أخى » هذا مرة أخرى . وظهر لى أنها لم تفـارقه من الأصل خلال الفترة التى ظننته قد برأ فـيها منها ، ورأيته يتـعذب فى صمت .. وتفلت منه الاشارات والكلمات المـمرورة التى يتحدث فيـها عن قدره فى الدنيا ونصيبه .. والحرمان ممن يحب القلب ، وكيف تطالبه أقداره بأن يسعـد لسعـادة من يحبـه ولو ضحى هو من أجله بسـعادته الخ.. ووجدتنى أتأثر بهـذه الكلمات الحـزينة المرورة .. ولا أبخل عليه فى بعض الأحيان ببعض الكلمات أو الهمـسات الحميمة وبعد ذلك أشعـر بعذاب الضـميـر وأتساءل أيكون مـا فعلتـه هذا خطأ أو بداية للخطـأ .. وأسلم بأنه خطأ ، وأعـتـزم عـدم تكراره لكنى أجدنى بالرغم من ذلك لا يطاوعنى قلبى على تركـه وحيدا .. وهو الذى لا يـتكلم إلا مـعـى ولا يأكل إلا إذا كـنت إلى جـواره .. ولا يطمئن له جانب إلا إذا رآنى فى مجال نظره .. إننى أعرف أنه لا مجـال للحب لأنه أخى ولأنه يصغرنى فى السن لكن مـا حيلتى فى القلب يا سيدى ؟!

إننى أصلى وأدعـو ربى أن يرفع عنـه هذا العناء وأن يلهـمنى الصـواب ، ويقول لى عـقلى إننى إذا حـاولت الاقتـراب أكثـر من خطيبى فـسوف أنجح وأنا أعلم أنك مع العقل دائما وأنك تـرجحه

عند الاختيار بينه وبين غيره .. و « أخى » هذا فى نفس مستوانا العلمى وتربيتنا الأخلاقية فبماذا تنصحنى للتعامل الحكيم مع هذا الإنسان الذى هو جزء لا يتجزأ من قلبى ؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

ومن الذى قال إن أحكام العقل لا بد أن تتعارض دائما مع أحكام القلب ؟ إنهما كثيرا ما يتوافقان وتوافقهما من علامات التوفيق الإلهى للموعودين بالسعادة فى الأرض ، غير أن أحد أسباب الشقاء الإنسانى هو أننا قد نضيع من أيدينا فى بعض الأحيان فرص السعادة الحقيقية التى تتوافق فيها أحكام العقل مع أحكام القلب ، لأننا ننكص عن طلبها فى الوقت المناسب ونتحمل تبعات ذلك بشجاعة ، أو لأننا فى أحيان أخرى قد نفضل أن ندور حول رغباتنا بدلا من الاعتراف بها لأنفسنا والمجاهرة بما نرغبه منها ولو تحملنا فى سبيل ذلك بعض العناء كضريبة ضرورية لنيل ما نريد ، أو لأننا قد نغمغم لأنفسنا بما نرغبه أحيانا ونترقب من الأقدار أن تهبه لنا بغير أن نبدو نحن ساعين إليه أو متلهفين عليه ، لأننا نخجل من طلبه أو المجاهرة به .. و « الخياط العظيم لا يقص كثيرا » كما يقول لنا الحكيم الصينى القديم لو- تسو . وإنما يمضى إلى هدفه المحدد بلا تردد فلا يقطع إلا ما يتطلبه تحقيق هذا الهدف ، أما نحن فإننا « نقص كثيرا » فى اتجاهات مختلفة وبعيدة عن الهدف الذى نتمناه صامتين وننتظر من « يرغمنا » على السعادة التى نريدها فى أعماقنا .. وما ترוينه لى فى رسالتك هذه مثال جديد على

« القص » بعيدا عن الهدف المنشود ، مما لا يثمر دائما سوى ضياع الجهد والوقت الثمين بلا طائل ، فأنت تكادين لا تنكرين أن مشاعرك العاطفية تجاه ابن خالتك لم تعد هى نفس المشاعر « الأخوية » السابقة بأى حال من الأحوال ، ولا تنكرين أنك قد بدأت تتجاوبين معه عاطفيا وتشعرين بأنه كما تقولين « جزء لا يتجزأ من قلبك » وتؤكدين أنك لا تستطيعين تركه وحيدا ، لكنك من ناحية ثانية ترجعين إلى « القص » فى الاتجاه البعيد عن الهدف وتقولين إنه لا مجال للحب بينكما لأنه « أخوك » ولأنه يصغرك فى السن !!

والحقيقة التى ينبغى لك أن تعترفى بها لنفسك وتتحملى تبعاتها بشجاعة أدبية هو أن ما يربطك بهذا الشاب الآن لا علاقة له بالمشاعر « الأخوية » ولا بما يربط الأخ بأخته .. غير أنك تجفلين من الأقرار بذلك لأن تجاوبك العاطفى معه لم يبدأ للأسف إلا بعد أن ارتبطت بغيره وتمت خطبتك له ، وإلا بعد أن أتيحت لك فرصة اختبار المشاعر والمقارنة بين ما تشعرين به تجاهه .. وما لم تشعرى بمثله تجاه خطيبك ، وبالتالى فإن الاقرار بالحقيقة سوف تكون له تداعيات غير هينة على المستوى العائلى والاجتماعى ، منها ما سوف تشعرين به من حرج تجاه هذا الخطيب الذى لم يرغمك على القبول به ، وتجاه أبويك اللذين لم يفرضاه عليك ، وما يترتب على كل ذلك من أعباء فسخ الخطبة وتحمل اللوم العائلى من أسرة الخطيب وأسرتك على السواء .. وليس حديثك عن اختيار العقل الذى يتعارض مع اختيار القلب

سوى ضرب آخر من خداع النفس ، لأن فتاك لا يصغرك فى السن سوى بعامين فقط لا غير وهما فارق هين فى السن يمكن احتماله ولا يؤثر جديا على نجاح العلاقة الزوجية إذا استقرت سفينتك في مرفئه .. كما أنه يماثلك فى المستوى العائلى والاجتماعى والعلمى ، ويفضل غيره بما ينطوى عليه لك من مشاعر أصيلة عميقة لا يبدو معها فى الأفق القريب أى احتمال لأن تتحول عنك أو تسلم باليأس منك .. كما أن علاقتك العائلية به أبدية ، ولسوف يظل موجودا بشكل أو بآخر فى أفق حياتك العائلية إذا تزوجت غيره .. وقد ينذر ذلك بتحول المشاعر المكتومة الآن إلى علنية غدا ، وقد يرشحك هذا للضعف العاطفى معه فى المستقبل ، ويورثك الندم على أنك لم تتحملى العاصفة مبكرا وتصححى مسار حياتك من قبل البداية ، فلماذا كل هذا العناء وتصحيح الأخطاء فى بدايتها أيسر كثيرا من محاولة تصحيحها بعد الزواج والانجاب ؟!

إن حياتك الآن من صنع يديك وعقلك وأفكارك .. وتستطيعين أن تحسنى الاختيار لها ، أو العكس ، ولست بناصحك بأن تتسرعى بفسخ خطبتك الحالية ومواجهة العاصفة العائلية التى لا مفر منها ، وإنما سأنصحك فقط بأن تواجهى نفسك مواجهة صريحة وحاسمة ، وأن تجرى معها حوارا عقلانيا هادئا تحددى بعده حقيقة مشاعرك تجاه هذا الشاب المتيم بك ، وحقيقة رغباتك بشأن حياتك ، فإذا أسفرت المواجهة عن رغبتك فى استكمال المشوار مع خطيبك ومحاولة بعث شرارة العاطفة فى قلبك تجاهه ، فعليك أن تتوجهى

بجماع نفسك إلى هذه المحاولة وأن تكفى عن كل ما يشرد بك بعيدا عنها أو يشوش عليها من قبيل الكلمات والهمسات الحميمة مع ابن خالتك وقضاء الأوقات الطويلة معه .. والتغلغل فى تفاصيل حياته وشئونه.. إلخ .. أما إذا أسفرت عن الاعتراف لنفسك بأنك تبادلين هذا الشاب مشاعره .. ويصعب عليك الافتراق عنه ، فلابد أيضا من أن تمضى فى الطريق الذى يجمع بينك وبينه بالرباط المقدس وأن تتحملى تبعات هذا الاختيار بشجاعة وتدفعى ضريبته راضية .. فذلك أكرم وأفضل لك من التمزق العاطفى بين خطيبك وبين هذا الشاب الذى يبدو أنه قدرك فى الحياة كما أنك أنت بالمثل قدره ، وهو أيضا أكرم وأفضل لخطيبك من أن ترتبطى به ومشاعرك العاطفية تتجه إلى غيره مما قد يرشحك للخطأ معه فى المستقبل .

لقد كان الأديب الفرنسى بلزاك يقول إن ميلاد الحب كولادة طفل .. عسير لكنه بهيج !

فلتكن إذن العاصفة العائلية الناجمة عن فسخ الخطبة إذا استقر اختيارك على ابن خالتك ، هى آلام هذه الولادة .. ولتكن بهجتها هى العزاء لك عنها .. وفى كل الأحوال فإنى لا أنصحك أبدا بالارتباط بشاب ما مهما تكن ميزاته .. ورضاء العقل عنه ، ومشاعرك العاطفية أسيرة لدى شاب آخر لا يعترض عليه العقل كذلك ، وتتوافر فيه أيضا كل المزايا ولا يعيبه « ظاهريا » فى نظرك سوى أنه يصغرك بعامين .. وإنك تخجلين من الاعتراف لنفسك بحبه بعد أن رفضته من قبل وارتبطت بغيره وعلم الجميع بهذا الارتباط المعلن .

الضوء الوحيد!

أنا من قراء هذا الباب وأستعين بما أتعلمه منه على مواجهة الظروف الصعبة التى حلت بى .. ولقد فكرت فى أن أكتب لك عن مشكلتى لكنى شعرت بالخجل لتضاؤلها بالقياس إلى ما سوف أرويه لك عن هذه السيدة التى أعتز كثيرا بأنها جدة طفلتى وأم زوجتى .

فأما هذه السيدة فلقد بدأت قصتها مع الحياة حين تزوجت فى سن مبكرة قبل أن تكمل دراستها الثانوية من ابن خالتها الضابط الشاب بالقوات المسلحة . وسعدت بحياتها معه وأنجبت منه ابنتها الكبرى وبعدها بعامين انجبت بنتين توءما ، ثم بعد عامين آخرين رزقت بولد ، فكان الفرحة الكبرى لأبيه وأمه . واكتملت سعادة الأسرة وواصلت حياتها الآمنة المطمئنة ، وتنقلت من مدينة إلى مدينة تبعا لظروف عمل الزوج ، ثم شاءت الأقدار أن يصاب الولد الوحيد لهذه الأسرة بالصفراء فى فترة إقامة الأسرة بمطروح نتيجة لحقنة غير معقمة ، فإذا بهذا الطفل الذى تنعقد عليه آمال الأسرة تتدهور صحته بسرعة رهيبة ، وإذا به يرحل عن الحياة وهو فى السابعة من عمره ، ويحزن الأب والأم على وحيدهما

حزنا عـميقـا لكنهما سرعـان ما يتمـاسكان بعد فتـرة من الحزن الشديد .. ويقنع كل مـنهما الآخر بأن الحـياة لابد أن تستـمر لأن لديهـما ثلاث بنات يحـتجن إلـى أبويهن فيـستـعيـدان توازنهمـا ويواصلان الحـياة ، وبعـد عدة سنوات أخـرى يلاحظ الأبوان أن صحة بـنتيهمـا التوءم ليست دائما على مـا يرام . فهما تشـعران بالارهاق لأقل مجهود تبذلانه ، ولا تستطيعـان مجاراة زميلاتهما من البنات فى اللعب ويشعر الأبوان بالقلق عليهمـا فيصطحبانهما للطبيب ، وبعد الفحص الدقيق يتضـح أنهما تعانيان من عيب خلقى فى القلب ويخضـع الأبوان بدورهما للفحص فيتضح أن هذا العيب قد انتـقل إليهـما وراثيا عن طريق الأب ، لكـن اصابة الأب لا تمثل بالنسـبه له أية خطورة من الناحـية الطبـية ، وتبدأ الأسـرة رحلة معاناة جديدة بين الأطباء والمستشـفيات ، وتتدهور صحة البنتين بسرعة عجيبة ، وينتهى بهما المطاف إلى مستشفى القوات المسلحة بالمعادى تحت العـلاج ، فلا يطول الوقت حـتى تستسلم إحـداهما للمصـير المحتـوم ، وتلبى نداء ربها ويفجع الأبوان فى زهرتهـما التى لم تتـجـاوز الخـامســة عـشـرة من عمـرها ، ويغـادر الأب المستشفى ليقوم لابنتـه بالمراسم الحزينة ، ويرجع إلى المستشفى ليتابع حالة الأخرى ، فلا يكاد يصل إليـه حتى يتلقى خبر رحيلها عن الحياة بعـد شقيقتـها بساعات ! ويسقـط الأب المكلوم مريضا ويتم إدخاله العناية المركزة بنفس المستشفى وتصاب الأم بصدمة عصـبية شديدة ، وتخـضـع للعلاج ويصدر الـقرار بعلاجهـما فى لندن على نفـقة القوات المسلحـة ، وبعد رحلة علاج لـيست طويلة يرجعان إلى الحياة مرة أخـرى .. ويتساند كل منهما على الآخر .

ويركزان كل حـبهما وعطفـهما وحنانهمـا على الابنة الكبرى التى أصبحت الضوء الوحيد فى حياتهما . وكانت هذه الابنة قد استوت فى ذلك الوقت شـابة جـميلة وحـزيـنة وقـد أوشكت على إنهـاء دراستها الجامعية وأدت امتـحان الليسانس وراحت تنتظر نتيجته وفى هذه المرحلة مـن حـيـاتهـا التـقـيت بهـا أنا لأول مـرة على الشاطىء فى مطروح حـيث اعتادت أسرتهـا أن تقضى بعض أيام الصـيف ، وكنـت أعـرف من بعض الأهل والأقـارب قـصـتـهـا وما شـهدته حـياتهـا من أحزان ومـآس فأحبـبتـها حـبا عظيـما وأحبتنى هى أيضا بكل ما فى أعماق قلبها من قدرة على الحب .

ولأن والدها صـديق لوالدى اللواء السـابق بالقـوات المسلحـة أيضا فـقد صـارحت أسرتى على الفـور برغبتى فى الـزواج منها وأبدت أسرتـى بعض التخـوف من حكاية المرض الوراثى ، لكنهم إزاء حبى لهذه الفتاة لم يترددوا فى مباركة زواجى منها .

وتقدمت لوالد فـتاتى طالبـا يدها منه فرحب بى ، أمـا والدتها فلقد كانت فرحـتها بسعادة ابنتها الوحـيدة لا توصف وساعدتنى أسرتى على إتمام الزواج ، ويسرت لى كل الصعوبات وأحب أهلى عروسى الشـابة حبـا شديدا . وتزوجنا وهى زهرة مـتفتـحة فى عامها الرابع والعشرين من عمـرها . وأنا فى الخامسة والعشرين من عـمرى وبدأنا حـيـاتنا الزوجـية مـعـا ، ونهلت من نبع الحب والسعادة مع زوجتى هذه ووجدت فيها إنسانة جميلة الروح طيبة القلب عطشى للسعادة والرغبـة فى الإحساس بالأمان ، ولأننى قد تزوجت صغيرا فلقد سعيت إلى تحـقيق مستوى أفضل من الحياة وسافرت للعمل بإحدى شركات البترول بدولة عربية ، ولحقت بى

زوجتى بعـد فترة قصـيرة ، وابتعدت لأول مـرة عن أبويها فكان وقع الفراق عليـهما وعليـها شديـدا لكن الحياة مـضت بنا ، وبعد شهـور حملت زوجـتى وبدأنا المتابعـة الطبيـة لحملهـا ، فلاحظت الطبيبة أن ضربات قلبهـا ليست منتظمة . وبعد الفحص بالموجات فوق الصـوتية واسـتشـارة أخصـائى القلب أبلغنا الطبيب بـأنها تعـانى من تضخـم بسيط فى إحـدى حـجرات القلب وأن الحـالة لا تدعو للقلق ويمكن للحمل أن يستمر ولكن بشرط المتابعة الطبية المنتظمـة . وفوجـئت بأن زوجتى كـانت تعرف عن نفـسهـا هذه الحالة منـذ توفيت شقـيقـتاها التـوءم حيث شمل الفـحص الطبى وقتهـا كل أفراد الأسرة ، ولم أشعر تجـاه زوجتى بأى لوم لأنها لم تخـبرنى بذلك من قـبل فلقد كنت أعـرف مأسـاة شقـيقـتيـها وظروف أسرتها وأدركت الظروف النفسية التى عاشتها .

ومضت شـهور الحمل طبيـعية ورزقنا الله بطفلة جمـيلة وبعد عامـين آخرين أصرت زوجتى على الحـمل مرة ثانية واستـشرنا طبـيب القـلب فى ذلك فـأكـد لنا أنه لا خطـورة على الإطلاق من الحمل مـرة ثانية وحملت زوجـتى وأنجبنا طفلة ثانيـة وحرصت زوجتى طوال سنوات غربتهـا على أن ترجع إلى مصر مع طفلتينا كل فترة من الزمن لقضاء بعض الوقت مع والديها .

ورغم افتـقادى الشـديد لها وللطفلتـين خلال غيـابهن إلا أننى لم أعترض مرة واحدة على رغبتها فى العودة لزيارة أبويها ، ذلك أن وجود الطفلتـين مع جدتهما وجـدهما قد أصبح المعنى الـوحيد الباقى لهما فى الحياة ، ولقد أحبا الطفلتين حبا غامرا وسعدا بهما

سعادة طاغية حتى خيل إلىَّ أن الحياة قـد ابتسمت لهما أخيرا بعد طول تجهم .

وذات يوم وزوجتى فى مـصر عـرفت أنها مريضـة فتـوجهت إليها على الفور .. ووجدتها تتابع علاجها مع بعض الأطباء .. لكن العلاج لا يحـقق أى تقدم ، فـقررت أن أرجع بهـا إلى مقـر عملى لعـلاجهـا فى مسـتشـفى الشركـة العالميـة التى أعمل بهـا ، وتم عرضها على أطبائه فشخصـوا الحالة بأنها حالة التهاب مزمن فى أنسـجة الجسـم وحاولوا قـدر جـهدهم عـلاجهـا ، وأجروا عـدة اتصالات مـع المراكز المتـخصصـة فى أمريكا وانجـلترا بحـثا عن علاج لهذه الحالة النادرة دون جـدوى .. وواصلت صحة زوجتى تدهورها .. حـتى بدأت نذر النهاية الأليـمة تلوح فى الأفق وحـين أدركت ذلك قررت الـعودة مع زوجتى إلى مـصر .. وتم إدخـالها مستشفى عين شمس التـخصصى .. وبعد ٥ أيام فقط من عودتنا إلى بلادنا لبت زوجتى نداء السماء .. وانتقلت إلى رحاب ربها .

وبالرغـم من ذهولى وأحـــزانى وحـــســـرتى على زوجـتى وطفلتـى .. فلقـد شـغـلت بعض الشىء عن كل ذلـك ، بما حـدث لصهرى وزوجتـه فلقد كانت الصدمة الرابعة فى حياتهـما مروعة ومزلزلة لكل ما بقى من تماسكهما وصلابتهما .. وشهدت صهرى الرجل الطيب وهو يشتكـى مذبوحا من الألم من أقداره ويتـساءل دون جدوى : لماذا وأنا الرجل الصائم المـصلى المزكى الحاج لبيت ربه لماذا ؟ لماذا ؟! أمـا الأم الثكلى فـلا أستطيع مـهـما حـاولت أن أصف لك حالتها وهى تشهد هذا الضوء الوحيد الباقى فى حياتها يذوى .. ويخفت إلى الأبد .. غير أنهما .. ويا للعجب لصمودهما ..

وقوة إيمانهـما بربهما سرعـان ما تماسكا واستعادا اتزانهـما مرة أخرى وكأنما قد تحصنا ضد الصدمـات ومفاجآت القدر ، ثم طلبا منى شيئا واحدا هو أن أترك ابنتيّ لـديهما حين أرجع إلى غربتى ورجتنى الأم المكلومة ألا أرفض ذلك وكيف أرفض يا سيدى رجاء هذه السيدة وهذا الأب وطفلتاى هما تعـويض الأقدار الوحيد لهما الآن ؟

لقد قبلت الرجـاء وتركت الطفلتين فى رعاية جديهـما ورجعت إلى مقر عملى وأحزانى وأوجاعى .

وهما الآن يعـتنيان بهمـا أشد العناية .. وقد أوقـفا كل مظاهر الحزن والحـداد فى حياتـهما من أجل الصـغيرتين اللـتين لا ذنب لهمـا فى هذه الأقدار المأساوية وأننى أكـتب لك هذه الرسالة لكى توجه كلمة من كلماتك الحانيـة لهذه السيدة وهذا الرجل عسى أن تكون منديلا يجـففـان به دمعـهمـا ، وهما لا يعـرفان بأمـر هذه الرسالة .. لكنى أرجـو أن يكون فى كلماتك بعض السلوى وبعض العزاء لهما .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

اتساع المأساة قـد يجمد الدمع فى العين أحـيانا ليس زهدا فى الحـزن أو تعـففـا عنه وإنما عـجـزا عن الوفـاء بحق هذا الحزن الكبير من المشاعر والدموع .

وأحـسب أن هذا كـان حـال هذين الأبوين المكلومـين حـين انطفـأ الضـوء الوحـيد فى ظلام أحـزانهـمـا الطويلة برحـيل

زوجتك عن الحياة يرحـمها الله ، والحق أنى لا أدرى ماذا أقول لهما .. واحـزانهما تجل بحق عن العـزاء غير أنى استـعيد فى حديثى إليهمـا ما قاله ابن السماك معزيا رجـلا مصابا ببعض ما أصيبا به فى إيجاز بليغ : إن الذى كان لك فى الدنيا سرورا قد صار لك فى الآخرة أجرا .

وقـول على بن أبى طالب رضى الله عنــه معـزيا آخـر : إن تحزن فقـد استحقت ذلك منك الرحم .. وإن تصـبر فإن فى الله خلفا لك من كل هالك .

وقول ابن عبـاس لعمر بن الخطاب رضى الله عنهمـا معزيا إياه فى صغير له : عوضك الله منه ما عوضه الله منك !

والحق أننى لا أملك لهذين الأبوين المكلومين إلا أن أرجو أن يكون « سرورهما فى الدنـيا » الذى توارى وراء الحجب ، هو أعظم الأجر لهـما فى الآخرة بإذن الله .. وأن يعينهـما الله على أقدارهما الحزينة بإيمانهما العمـيق بربهما .. وبتسليمهما بما جرت عليـهما به المقادير وأقـول لهما إن الله سبحـانه وتعالى الذى يجزى الصـابرين بما صبروا قد شـاءت رحمته بهـما ألا يغيب الضوء الوحيد عن حياتهـما بغير أن يخلف مشعلا آخر ينير ظلام الأحزان من حولـهما ويجدد رغبتهـما فى الحياة .. ويجعل لهما هدفا يعيشان من أجله فأهداهما هاتين الحفيدتين لكى يمتد بهما وجود الابنة الراحلة فى حياتهما ..

وقديما قال أبو العتاهية متعزيا :

إلا إن ريْــب الدهــر يدنى ويبـعد

ولـلدهــر أيام تُــذم وتُحـمـد

أقـــول لـــريْب الدهر إن ذهـبت يد
فـقـــد بقـيت والحـمـــد لله لى يد

واليـد التى بقـيت فى حـيـاة هذيـن الأبوين همـا طفلتـاك الجميلتان اللتـان وافقت أنت ـ فـضلا منك ورحـمة ـ على أن تبقيـا فى حضانة جديهمـا وتؤنسا وحدتهما وتشـغلاهما عن بعض أحزانهمـا بشئونهما الصـغيرة ومتطلبات رعايتـهما .. وتبنى آمالهما وأحلامهما فى الحياة والمستقبل ..

وفى ذلك بعض العزاء ..

والشكر لك فى النهـاية أن تفهـمت عمق احـتيـاج صهـريك النفسى إلى وجود هاتين الطفلتين فى حياتهما .

والعـزاء كل العـزاء لهذين الأبويـن الصابرين الـصامـدين لأعاصير الحـياة وشدائدها على إيمانهما بربهمـا .. وصبرهما على مكاره الأيـام ، فنعم عـقـبى الدار .. نعـم عـقـبى الدار .. والسلام .

بطاقات الدعـــوة!

أقرأ بــريد الجمــعة منذ فــترة طويلة .. وألاحظ فى كــثيــر من ردودك أنك تحاول جاهدا التخفيف عن بعض قرائك الذين يشكون لك ضيــاع بعض فرص الحياة منهم بــعد أن تطلعوا إليهــا بشدة ، وانعقدت آمالهم عليها طويلا ، فتـنصحـهم بعدم التوقف أمام ما لم تسمح لهم به الحــياة ، وبالتطلع إلى التــعويض الإلهى لهم عن كل ما فاتهم من أســباب السعادة ، مؤكـدا لهم أنه سوف يجىء إليهم حين تأذن بذلك السماء .. وأود أن أروى لك قصتى لعلك تجد فيها ما يفيد غيرى من القراء .

فأنا شاب فى منـتصف الثلاثينات من عمرى ، أقــيم فى مدينة ســاحلية ، وقــد تطلعت منذ بضع سنــوات إلى الارتباط بشــريكة الحياة ، فتقدمت لابنة رجل فاضل طالبا يدها .. ورحبت الاسرتان بهذا الارتباط .. وغمرتنى أسرة الفتاة بحــبها واهتمامها ، وأحببت فــتاتى باحــتــرام كــامل وأحبـبت كل أفــراد أسرتــها .. وتبــادلت الأسرتان الزيارات فى جــو من الود والابتهــاج ، وتم الاتفاق على كل التفــاصيل .. وتحدد موعد الخطبــة المباركة واشتــريت الشبكة التى سأقدمها لعروسى وطبــعت بطاقات الدعوة وتم توزيعها على

أفراد الأسرتين والأهل والأقارب ، وقمت بتعليق إحدى هذه البطاقات على مدخل المكان الذى ستتم فيه الخطبة ، وتم إعداد كل المستلزمات للحفل البهيج واشترت فتاتى فستان الشبكة الجميل ، واستغرقت أنا فى الأحلام الوردية الجميلة أتخيل فتاتى وأنا أضع فى أصبعها دبلة الخطبة وأمى تترقرق عيناها بدموع الفرح ، ووالدتها مبتهجة والاخوة من حولنا سعداء .. وتسلمت « البدلة » التى سأرتديها فى حفل الخطبة وأعددت القميص وربطة العنق والجورب والحذاء اللامع ، ولم يتبق سوى يومين فقط على الحدث السعيد ، فإذا بوالد فتاتى يتصل بأسرتى ويعتذر لها فجأة عن عدم إتمام الخطبة بدون أية أسباب واضحة سوى هذه العبارة المبهمة « ليس هناك نصيب » !

وحاولت مع والد فتاتى بكل السبل أن أعرف منه سببا محددا للرفض المفاجىء فلم أنجح فى ذلك .. وتخيلت حرجى الشديد مع الأهل والأصدقاء الذين دعوتهم لحضور الخطبة .. وكيف سأبرر لهم إلغاءها ، فتوسلت لوالد فتاتى أن يحفظ علىّ كرامتى وأن يقبل بإتمام الخطبة فى أضيق الحدود حتى ولو كانت النية قد انعقدت لديه على رفض ارتباطى بابنته ثم بعد فترة قصيرة يقوم هو بفسخها بأى مبرر لا يسىء إلىّ ولا إلى الفتاة ، كالزعم مثلا بأننا قد اختلفنا حول بعض الماديات أو حول مقر اقامتنا بعد الزواج خاصة أن أسرة فتاتى تقيم بالقاهرة وأسرتى تقيم بالمدينة الساحلية ، وحاول الأب فيما علمت إشفاقا منه على موقفى أن يفعل ذلك لكن ابنته رفضت ذلك رفضا باتا ، وأصرت على عدم إتمام الخطبة بأى شكل من الأشكال رغم توسل الجميع لها

بالعدول عن موقفها ، ورغم رجائهم لها بالقبول حرصا على كرامة شاب لم يسىء إليها فى شىء .. وسلمت أمرى لله .. وألغيت حجز المكان المقرر لاقامة حفل الخطبة .. واعتذرت على استحياء لمن سبق لى أن دعوتهم من الأصدقاء والزملاء إلى الحفل ، وتولت أسرتى الاعتذار عنى للأهل والأقرباء .. وكان موقفا عصيبا لا أتمناه لأى إنسان فى الوجود .. وشعرت أنا بطعنة دامية فى قلبى وكرامتى .. وتساءلت متألما عما دعا فتاتى وأسرتها للقبول بى ثم إلى رفضى بهذه الطريقة المهينة ، وماذا أخطأت فيه .. وماذا جنيته حتى أتعرض لهذه المحنة ؟ ثم علمت من بعض الأهل أن فتاتى ووالدها قد علما بأنى مصاب بأحد الأمراض الخلقية التى تلازم المرء طوال حياته ، لكنها لا تضره ولا تؤذيه ما دام يعيش حياته ، محافظا على نفسه من أية مخاطرة قد تؤدى إلى جرحه ، وتعجبت لما سمعت وقد صارحت فتاتى فى بداية تعارفنا بكل ذلك وأطلعت أسرتها على نتائج التحاليل الخاصة بى ، واتصلت الأسرة بطبيبى المعالج فطمأنهم على حالتى ، وأكد لهم أنه لا خوف من إتمام الزواج وأن الحالة التى أعانيها ليست مخيفة ولا تتطلب منى سوى الاحتراس فقط ، وأنه حتى لو استدعى الأمر إجراء جراحة ذات يوم فالعلاج معروف والشفاء مضمون بإذن الله .. وما أكثر ما يتزوج أمثالى كل يوم وينجبون ويعيشون حياتهم فى سعادة وأمان .

وانطويت على أحزانى .. وواصلت حياتى محاولا نسيان ما حدث .. واعتزمت ألا أعرض نفسى لهذه التجربة القاسية مرة أخرى ، غير أن الأيام مضت بخيرها وشرها .. وراح الأهل يلحون

علىّ من جديد بالبحث عن شريكة الحياة .. فتقدمت لفتاة أخرى حاملا معى تقاريرى الطبية وقبل أن أطلب يدها أطلعتها على حالتى ، وطلبت منها أن تسأل كبار الاخصائيين عن هذه الحالة قبل أن تجيبنى بالرفض أو القبول ، وتركت التقارير لديها راجيا فقط استعادتها فى الحالتين ، وأمضيت فترة الانتظار مترقبا ومؤملا فى رحمة الله سبحانه وتعالى ألا تتخلى عنى هذه المرة ، وبعد أيام فوجئت بمن يدعونى لزيارة الأسرة والتقدم رسميا لطلب يد ابنتها ، لأن الأسرة قد استشارت كبار الاخصائيين بالفعل فأكدوا لها صلاحيتى للزواج بلا مخاطر .. وسعدت بذلك سعادة كبيرة واعتبرته تعويض السماء لى عما تجرعته من آلام سابقة بلا ذنب جنيته .. وأقيم حفل الخطبة فى موعده هذه المرة بلا مفاجآت ولا أحزان ، وأثبتت لى تجربة الأيام أن السماء قد اختارت لى هذه الفتاة لكى تعوضنى عن كل ما تألمت له من قبل ، وأنها « السعادة المدخرة » التى تقول أنت فى بعض ردودك أن السماء قد تحتفظ بها فى علم الغيب لكى تهبها لمن يستحقها فى الوقت المناسب .

وتزوجنا وسعدنا بحياتنا معا ، وازداد ارتباطنا وعمق تفاهمنا على مر الأيام وبعد عام من الزواج وهبنا الله طفلا جميلا ملأ حياتنا بهجة وسرورا ..

أما فتاتى الأولى فلقد مضت فى طريق آخر وتزوجت غير أنى قد علمت أنه لم يستقر لها حمل منذ زواجها بالرغم من تكراره والتزامها الراحة التامة فى الفراش فى كل مرة ولم أسعد بذلك ولم أفرح له ، كما قد يتصور أحد إذ ماذا يفيدنى ذلك وقد افترقت

بنا الطرق وسار كل منا فى اتجاه مختلف ، غير أنى أتساءل بالرغم من كل ذلك هل ما تعرضت له فتاتى السابقة هو عدالة السماء .. أو انتقامها منها لخذلانها لشاب تقدم إليها طالبا السعادة معها ولم يخف عنها من أمره شيئا ؟

إن حزن هذه السيدة لن يسعدنى .. وليس لى فيه يد ولعلها لو اتجهت إلى الله سبحانه وتعالى بنفس راضية أن يغفر لها ما فعلته بى فقد يغفر لها ويرزقها النسل الصالح .. وكل ما أرجوه هو ألا تسىء الظن بى وتتوهم أنى شامت فيها .. بعد ما كان من أمرها .. والسلام .

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

الخطأ الحقيقى فى قصتك مع فتاتك السابقة هذه ، ليس فى تراجعها عن إتمام مشروع الارتباط بك لأسباب رأتها حتى ولو اختلفنا معها فيها ، وإنما فى توقيت إعلانها لك هذا الانسحاب المباغت قبل يومين فقط من حفل الخطبة وبعد إتمام كل الاستعدادات لها وتوزيع بطاقات الدعوة لحضورها ، فالتعارف العائلى بهدف الارتباط هو فى النهاية مشروع اتفاق قابل للاستكمال والمضى به إلى غايته ، وقابل أيضا للرجوع عنه من جانب أحد الطرفين أو كليهما لأية أسباب يقدرانها ، ولقد شرعت الخطبة أصلا لكى تكون فترة للتعارف الحميم واختبار المشاعر .. وامتحان كل طرف لرغبته فى الآخر ، فإذا جاءت مؤشراتها إيجابية مضى فى مشروع الارتباط إلى نهايته وإذا لم يحدث ذلك اعتذر عن عدم اتمامه ،

وبحث عن غايته فى طريق آخر ، وليس يضير أحدا أن يفشل مشروع خطبته لأحد إذا روعى فى ذلك الالتزام بالأعراف السائدة واحترام المشاعر والكرامات .. ولهذا فإننا لا نلوم أحدا لمجرد أنه قد فسخ ارتباطه بآخر لأسباب رآها .. حتى ولو لم تكن عادلة أو مقنعة للآخرين ، لأن كل إنسان أدرى بما يحتاج إليه ولأن من لا يصلح لإنسان قد يصلح لغيره .. لكننا نلوم فقط من لا يراعى اعتبارات الآخرين وكرامتهم ومشاعرهم عند اتخاذ مثل هذا القرار وخطأ فتاتك السابقة الحقيقى يتمثل فى ترددها فى اتخاذ القرار بالقبول بحالتك الصحية التى لا خطر فيها عليك بشرط الاحتراس والالتزام ، أو بالاعتراف بعدم رغبتها أو قدرتها على المخاطرة ومعايشة التجربة بجوانبها المختلفة ، والواضح هو أنها قد ترددت بين القبول والرفض غير المعلن طويلا حتى إذا ما اقترب موعد إعلان الخطبة وأوشك الأمر أن يخرج إلى العلن .. انتصرت لديها نوازع النفس التى ترجو لصاحبها الأفضل والارفع دائما من كل الأشياء .. وتشفق عليه من القبول بأية مخاطرة ولو كانت هينة فباغتت الجميع بتراجعها عن الخطبة وتصرفت فى ذلك وفقا لما يتفق مع اعتباراتها الذاتية وحدها ، وبغير أن تضع فى حسابها أثر هذا القرار المباغت على الطرف الآخر فى الارتباط أو على مشاعره وكرامته الشخصية ومشاعر أسرته وكرامتها ..

والفضلاء من الناس هم من لا يتخذون قراراتهم واختياراتهم وفقا لاعتباراتهم الشخصية وحدها ، بغض

النظر عن انعكاساتها على مصالح الآخرين ومشاعرهم وكرامتهم .

وإنما يحاولون دائما أن يضعوا اعتبارات الآخرين فى حساباتهم وان يخففوا بقدر الامكان من تعارض رغباتهم ومصالحهم مع رغبات الآخرين ومصالحهم ، وقد يضحون فى سبيل تجنب إيلام الآخرين والتخفيف عنهم بتحمل بعض العناء .. ولا عجب فى ذلك لأن الحياة لا تستقيم إذا انطلق فيها البشر كالوحوش الضارية يسعون وراء أهدافهم ورغباتهم وحدها بلا قيود ولا حدود وبغير أن يضعوا فى حسابهم حقوق الآخرين ومشاعرهم واعتباراتهم ..

وكل ما تعرضت له من آلام وجرح للمشاعر والكرامة لم ينجم عن رفض هذه الفتاة للارتباط بك تخوفا من حالتك الصحية .. ولو كانت قد فعلت ذلك بشكل كريم خلال فترة التعارف الأولى لما لامها أحد على اختيارها ، وإنما نجم أساسا عن أنها قد ضحت بكل ما تمثله لك ولأسرتك هذه الخطبة من اعتبارات بعد إعلانها للآخرين ، وجابهتكم جميعا بالخذلان بعد أن عرف الجميع موعدها . ولقد كانت تستطيع أن تخفف كثيرا من وقع الصدمة عليك لو كانت قد قبلت باتمام الخطبة شكليا ، ثم فسخها فى هدوء بعد حين ، لكنها آثرت ألا تضحى بشيء من نفسها لاصلاح خطأ ارتكبته حين ترددت طويلا قبل حسم اختيارها .. فإذا كان لا يسعد أية فتاة بالفعل أن تكون لها سابقة خطبة فاشلة حتى ولو كانت هى التى رغبت فى إنهائها ، وإذا لم يكن من اليسير بالفعل على أية فتاة أن

تجابه الجميع فى حفل عام لخطبتها وهى تضمر فى نفسها فسخها بعد أيام أو أسابيع .. فلقد كان من واجب هذه الفتاة أن تضحى من نفسها بعض الشىء بقبول هذا العناء إبراء لذمتها تجاه الشاب الذى لم يخطىء فى حقها ، ولم يرتكب إثما حين طلب السعادة معها بالطريق المشروع .. ولا ذنب له فى حالته الصحية التى أثارت هواجسها .. وبالرغم من ذلك فلست أرى لك وقد عوضك الله عنها خيرا وسعدت بحياتك الجديدة وانجبت طفلا جميلا .. وأثبتت الأيام أن حالتك الصحية لا تحول بينك وبين السعادة والأمان ، لست أرى لك أن تظل منشغل الخاطر بمن رفضتك من قبل وآلمتك حتى ولو كان هذا الانشغال بعقد المقارنة بين توفيق الله سبحانه وتعالى لك فى حياتك الشخصية ، وتعثر حظ فتاتك السابقة ، مع الحمل والانجاب .. ذلك أنه حتى المقارنة ليست من حسن شكر الإنسان لربه على ما أنعم به عليه من نعم جليلة ، لأنها لا تفيد الشكر وحده .. ولا الاشفاق على الغير وحده .. وإنما تفيد أيضا ـ ولو بطريقة لا شعورية ـ شبهة الشماتة والتشفى فى حظوظ من ظلمونا وجرحوا مشاعرنا وآثروا غيرنا علينا .

ولو لم تكن تفيد ذلك لما ذكرناها فى موضع ذكر اساءات من أساءوا الينا ، ولاكتفينا بالشكر على النعم .. ورجونا للآخرين مثل ما نعمنا به ، فالصفح الحقيقى هو النسيان التام ومرور الأعوام علينا بغير أن نتذكر من أساءوا الينا أو ننشغل بتتبع حظوظهم فى الحياة .. والشماتة فيهم أو الرثاء

لهم .. لأنه حتى هذا الرثاء لا يخلو من شبهة الاعتداد بحظوظنا بالمقارنة بحظوظهم فى الحياة ، اللهم إلا إذا كان خالصا لوجه الله .. وكل ذلك ليس من الصحة النفسية ولا من السلام النفسى فى شىء .. فلا تسمح لهذه المشاعر السلبية بأن تفسد عليك صفاء نفسك وحسن شكرك لربك على تعويضه العادل لك عما تعرضت له من قبل ودافع عن سعادتك بتطهير النفس من كل الشوائب عسى أن يكون ذلك هو شفيعك عند ربك أن يحفظ عليك نعمه ويجزل لك منها العطاء ..

البيت الجديد!

أنا شاب من أبناء الجنوب شاءت لى الأقدار أن أكون طرفا فى قصة من هذه القصص المؤلمة التى أحرص على قراءتها فى بابك بانتظام ..

فلقد نشأت فى أسرة صعيدية مترابطة . وتزوج شقيقى الأكبر منذ بضع سنوات ، وأقام مع أبى وأمى فى البيت الكبير كما نسميه أى بيت الأسرة .. وتزوجت شقيقاتى واستقرت بهن الحياة فى بيوت أزواجهن فى الجوار القريب ، وأنجب شقيقى الأكبر من زوجته طفلين صغيرين ، وسعد بحياته وزوجته وسعدت هى به .. ثم فجأة تزلزل كيان هذا البيت بمصرع شقيقى هذا منذ عام ونصف عام فى حادث سيارة خلال عودته من مدينة الأقصر التى كان يعمل بها .. وخيم الحزن على الجميع وسقطت زوجة أخى فى غيبوبة شبه متصلة .. ووفقا للتقاليد فقد استمرت زوجة أخى مقيمة فى بيت الأسرة مع طفليها الذى يبلغ عمر أكبرهما ٦ سنوات والأخرى ٤ سنوات ، وبعد إحياء ذكرى الأربعين بأيام جاء أهل زوجة أخى ليصطحبوها معهم إلى بيت أسرتهم كالعادة حين يكون الأطفال صغارا . ولا أدرى ماذا فعل أبى معهم أو ماذا

قال لهم لكى يقنعهم بترك ابنتهم مع طفليها بعض الوقت فى بيتنا لكنهم على أية حال قد قبلوا بعد رجاء وإلحاح تركها لبعض الوقت على أن يرجعوا لاصطحابها معهم بعد هذه المهلة الجديدة بلا أى تأجيل .. وبعد انصرافهم فوجئت بأبى يدعونى للحديث معه على انفراد ثم يرجونى والدمع المتجمد فى عيونه ، بأن أتزوج أرملة شقيقى الراحل لكى تظل هى والطفلان فى بيتنا وتمضى الحياة بهم وبنا على ما كانت عليه قبل الحادث المؤلم ..

ولم أجب أبى بالرفض أو القبول عند سماعى هذا الرجاء المؤلم ، وغلبنى الاحساس بالحزن على أخى الذى كان صديقى وتوءم روحى ، فانعقد لسانى ولم يضغط علىّ أبى لكى يتعجلنى الرد وإنما قال لى إنه يدع لى الأمر للتفكير فيه ويأمل أن أضع مصلحة الطفلين اليتيمين ورغبته ورغبة أمى فى ألا يفارقاهما فى اعتبارى . ومضت بضعة أيام أخرى وأنا مستغرق فى التفكير ، أريد أن أحقق لأبى وأمى رغبتهما فى أن ينشأ أحفادهما فى أحضانهما .. وأتخيل من ناحية أخرى نفسى فى موضع أخى من زوجته فأخجل من الفكرة وأنزعج لها .. إلى أن كنت جالسا فى غرفتى ذات يوم أقرأ الصحف فى الصباح فدخلت أرملة أخى إلى الحجرة ورجتنى أن أعقد قرانى عليها فقط لكيلا تغادر بيت الأسرة ، ولأن أهلها إذا أعادوها إلى بيتهم فلسوف يضغطون عليها بشدة للزواج مرة أخرى ولن تمضى ستة أشهر أو عام على أكثر تقدير إلا وتكون قد تزوجت من آخر رغبت فى ذلك أم لم ترغب ، ولهذا فهى ترجونى أن أعقد قرانى عليها « فقط » لكى أحميها من ذلك وأعين طفليها على البقاء بين أهل أبيهما ، وعلى ألا

يكون لكل منا شــأن بالآخر بعد عــقد القران لأنــها لا تريد الزواج بعد أخى وترغب فى أن تتفرغ لتربية طفليها منه !

ولم يكن أمامى من ســبيل بعد هذه المصــارحة سوى القــبول ، استــجابة لرغبــة أبى وأمى .. وجاء أهلها بــعد أيام ليصطحــبوها مــعــهم ، فــقــال لهم أبى إنه لا داعى لذلك لأن ابنه الآخــر ســوف يتــزوج أرملة أخــيه ويربــى ابنيه ورحب الأهــل بذلك .. وانتظرنا انقضاء فترة العدة .. وما أن انتــهت حتى جاء المأذون وعقد قرانى عليهــا .. وبعد القــران دخلت هى حجــرتها ودخلت حــجرتى وفى الصباح غادرت البيــت وتوجهت إلى الاسكندرية حيث يقيم بعض أقاربى ويعمــلون ، وقضيت فى الثغــر تسعة شهور كــاملة عملت خــلالها مــع أقاربى ثم علمــت أن أبى مريض فــعــدت إلى بلدتى لزيارته والاطمــئنــان على أحــواله وأحــوال أمى ، واســتــقــبلتنى « زوجتى » بالمصافــحة العادية كما كانت تفــعل معى وهى زوجة لأخى ، وعلمت أن أمى على خلاف معــها منذ علمت أن كل ما بيننا هو وثيقــة الزواج فقط .. ووجدت العــلاقة متــأزمة بينهمــا للغاية فوفرت لزوجتى مــسكنا مستقلا قريبا وانتــقلنا إليه ، وأصبح من واجبى أن أبيت مــعها فى البيت الجــديد لكيلا أدعها وأدع طفلــيها وحدهم فيــه ، ومضت حياتنا فى البيت الجــديد هادئة .. فزوجتى تعد الطعــام وتغسل الملابس وترعى الأطفال .. وأنا ألبى مطالبــها من الخارج وأرعى مصالح البــيت وأرعى الابنين اللذين لا يعرفان لهما أبا غــيرى .. وأؤدى عملى ، وفى المساء يدخل كل منا غــرفته ويغلق بابها عليه للصباح .

وبعد فترة من الوقت تساءلت عمــا يدعونا للاستمرار على هذا

النحو إذا كانت الحياة قـد جمعت بيننا تحت سقف واحد ولكل منا مصلـحة أساسـية في رعـاية هذين الطفلين .. وقررت بـعد تردد طويل أن أفاتحها في أن نحول زواجنا الشكلي إلى زواج حقيقي ..

وفعلت ذلك ففوجئت بها تبكـي بشدة وتقول لي أنها قد اتفقت معي من البـداية على هذا الوضع ، وبحـيث تعيش لطفليـها وعلى ذكرى زوجـها ، وإنني استطيع إذا رغـبت في الزواج الحقـيقي أن أتزوج من غيرها ولن تعترض على ذلك بل إنها تستطيع أن ترجع للإقامة في بيت أبي لكي يخلو لي هذا المسكن لأتزوج فيه !

وشعـرت بالخجل والحـياء لردها هذا .. ولم أشـأ أن أحرجـها أو أحـرج نفـسي أكـثـر من ذلك فـسكت ، ومـضت بنا الحـيـاة « وزوجتي » لا تعترف بي عمليا زوجا لها ، وطفلاها ، لا يعرفان لهمـا أبا سواي .. فـماذا أفـعل يا سيـدي .. إن والدتها تنصـحني بالصبر عليها ، وشقيـقها يقول لي أن كل شيء مرهون بالصبر ، وهي تنصحني بالزواج وتؤكد لي أنها ستكون سعيدة بحياتها في هذه الحالة بشرط أن أحتفظ بهـا في عصمتي .. وأنا لم أعد أعرف ما هو الخطأ وما هو الصواب .. فبماذا تنصحني أن أفعل ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

من حقك بالفعل أن تتطلع لأن تحيا حياتك بطريقة طبيعية وتستغني بزوجتك عن غيـرها من النساء ، ما دامت الأقدار قد جمعت بينكما في رباط مقدس ولكل منكما مصلحة مؤكدة في استمراره إلى النهاية .. أمـا « الاتفاق » المبدئي بينكما على أن يكون زواجكمـا شكليـا حـتى لا تخرج زوجـتك وطفـلاها من أحضـان أسرتك ، فليس مما يعـتد به كشـرط دائم يعـتبر من

خالفه كمن نقض العهد وخان الوعود .. لأنه شرط فاسد دعت إليـه الضرورة النفسيـة في الظروف المأساوية التي أحـاطت بهذا الزواج .. وربما لو لم تشتـرطه هي لما راودت نفسك على الارتباط بها متخلصا من الحرج الإنساني المفهوم في مثل هذه الظروف ، ولما استطاعت هي أيضـا أن تتغلب على مشـاعرها وأحزانهـا وحرجـها النفسي لتقبل به . غير أن الواقـع حتى ولو استعنا في الـبداية على القبول به بالتحـايل على أنفسنا بمثل هذه المبررات والحـيل النفسيـة ، لا يلبث أن يرغمنا على أن نحيا حـياتنا بطريقة طبيـعية ، وعلى أن نتقـبل بعد حين ما كنا ننكره أو نستفظعه من حقائق الحياة قبل وقت قصير .

ولهذا فإن تمسك زوجتك بهـذا الشرط الفاسد حتى الآن هو الذي يعد خروجـا على الاتفاق الضمني المفهوم بغيـر تصريح بين الطرفيـن حين تم الزواج وليس تفكيرك فـي تحويله إلى زواج حقـيقي يلبي لك احـتياجـاتك النفسيـة والعاطفـية هو الخروج على مثل هذا الاتفاق الصامت .

كمـا أن تصـريحهـا لك بالزواج من غيـرها مع بقائهـا في عصمتك ، ليس حلا مـقنعا للمشكلة .. ذلك أنه ليس كل إنسان قادرا على أن يحـيا حيـاة مزدوجة يتنقل فـيها بين زوجـتين حتى ولو كانت علاقته بإحداهما شكلية ولأن الزواج مسئولية نفسيـة وأدبية واجتماعيـة قبل كل شيء .. وقليلون هم الذين يطيـقون تعـدد هذه المسئـولية في حـياتهم . كـما أن وجـود زوجتك في عصمتك لن يرشحك بسهولة للاستقرار والسعادة مع زوجة أخرى ، ولن يكون ذلك الوضع مقبولا ولا مريحـا لمن

تقبل الارتـبـاط بك وإنما سوف يظـل بؤرة للمتاعـب والقلاقل بينكمـا على الدوام حـتى ولو أقـسمت لهـا أغلظ الأيمـان أنه لا يجمع بينك وبين الأولى من مـقاصد الزواج سوى الحـماية والمسئولية ورعاية الأبناء . وليس من المسـتبعد كذلك أن ينبه زواجك المقـترح هذا لـدى زوجتك الأولى مـشـاعرها الأنثـوية واحتـيـاجاتها النفـسية الخـامدة حـاليا تحت ركـام الأحزان .. فتـتسـاءل : وماذا يمنعهـا بعد كل هذا الوقت من رجـلها وهو زوجهـا أمام الله والجـمـيع ، فيحـركهـا ذلك لاجتذابك إليـهـا .. أو يحفـزها للاحتفـاظ بك إذا استشـعرت خطر فقـدك النهائى واستئثار الأخـرى بك .. وليس كل ذلك بمستغرب على النفس الشرية التى لا تستـشعر فى بعض الأحيان قيـمة ما لديها إلا من خلال تقدير الآخرين له !! فلماذا كل هذا العناء .. وقد يسر لنا الله سبحانه وتعـالى أن نحيا حياتنا الطبيعـية بلا مشاكل ولا اضطرابات ؟

إننى أتصور أن ما يحـول بينك وبين زوجتك الآن هو قرب الذكرى وبطء التـكيف مع الواقع الجديد الذى فرضـتـه عليـهـا الأقدار الحزينة . لكنها فى غمارهمهـا بنفسها وأحزانها ينبغى لها أيضـا ألا تظلم شابا أمـينا مثلك قـبل أن يضحى بأحـلامه الشخصـية رعاية لاعتبـارات إنسانية وعائليـة نبيلة وتعفف عن الضـغط على زوجتـه لنيل مـا يصبـو إليه منهـا مراعـاة لظروفها النـفسية والإنسانيـة ، وإنما لابد أن يدعوها ذلك إلى مراجعة موقفها منه .. وابراء ذمتها من ظلمها له ومطالبته بما لا يطيـقـه .. ولا شك أن المشكلـة القـائمـة حـاليـا بينك وبين زوجتك هى فى النهاية مشكلة وقـتية لن يلبث الزمن أن يجد

لهـا الحل الموفق لهـا بمبـضـعه الـذى لا يخيـب .. فاعـتـصم بالصبـر يا صديقى .. ولا تستـجب الآن لنصيحـة زوجتك لك بالزواج من غـيـرهـا لأنك لن تسـعـد فى مـثل هذا الزواج المقـترح .. وإنما أصبر وانتظر .. ولا تدفع الأمـور بأكثـر مما تحتمله ظروف زوجتك النفسـية الحالية وتأكد من أن لك لدى زوجتـك القبـول النفسى الذى يصلح أسـاسا كـافيـا لعلاقـة الزواج السليـمة بعـد حين ، بـدليل توجهـها لك بالرجـاء لأن تعقد قرانك عليها لكيلا تغادر بيت الأسرة ، حتى ولو كانت قد اشـترطت عليك أن يكون زواجك بـها صـوريا .. ففى تقـديرى أنها لو لم تكن تقبل بك نفسيا من البداية لما سعت لأن ترتبط بها مـثل هذا الارتباط ولتـحملت العودة إلى أهـلها ومواجـهة ضغوطهم للزواج مرة أخرى لأن ذلك أرفق بالمرأة من ارتباطها بأى نوع من الارتبـاط بمن تنـفـر منه ولا تطيق وجـوده فى دائرة تنفسـها ، لـكنهـا فقـط هـذه « الاشكاليـة الإنسانيـة » التى لم تستطع بعد التكيف معها وهى أن تحل أنت منها محل أخـيك الراحل فى هذا المدى الزمنى القـصيـر ، وهى اشكاليـة الزمن وحده هو الكفيل بحلهـا .. فأرجو ألا يطول بك الانتظار لمفعوله السحـرى لكيلا تتجرع عذاب الحرمـان ممن تشاركها الحياة لفترة طويلة .. فـإذا طال الانتظار عما تطيقه أو بدا لك أن زوجتك تصـر بالفعل على مخالـفة الطبيعـة وعدم التكيف مع الواقع الجـديد إلى النهـاية ، فـلا مفـر فى هذه الحـالة من الزواج مرة أخرى وتحـمل هذا العناء الجديد الذى ستـفرضه عليك هذه الظروف الإنسانية .. كـما فرضت عليك من قبل هذه التضحية العائلية ..

لهـا الحل الموفق لهـا بمبـضـعـه الـذى لا يخيـب .. فاعـتـصم بالصبـر يا صديقى .. ولا تستـجب الآن لنصيحـة زوجتك لك بالزواج من غـيـرهـا لأنك لن تسـعـد فى مـثل هذا الزواج المقـترح .. وإنما أصـبر وانتظر .. ولا تدفع الأمـور بأكثـر مما تحتمله ظروف زوجتك النفسـية الحالية وتأكد من أن لك لدى زوجتـك القبـول النفسى الذى يصلح أسـاسا كـافيـا لعلاقـة الزواج السليـمة بعـد حين ، بـدليل توجهـها لك بالرجـاء لأن تعقد قرانك عليها لكيلا تغادر بيت الأسرة ، حتى ولو كانت قد اشـترطت عليك أن يكون زواجك بـها صـوريا .. ففى تقـديرى أنها لو لم تكن تقبل بك نفسـيا من البداية لما سعت لأن ترتبط بها مـثل هذا الارتباط ولتـحملت العودة إلى أهـلها ومواجـهة ضغوطهم للزواج مرة أخرى لأن ذلك أرفق بالمرأة من ارتباطها بأى نوع من الارتبـاط بمن تنـفـر منه ولا تطيق وجـوده فى دائرة تنفسـها ، لـكنهـا فقـط هـذه « الاشكاليـة الإنسانيـة » التى لم تستطع بعد التكيف معها وهى أن تحل أنت منها محل أخـيك الراحل فى هذا المدى الزمنى القـصيـر ، وهى اشكاليـة الزمن وحده هو الكفيل بحلهـا .. فأرجو ألا يطول بك الانتظار لمفعوله السحـرى لكيلا تتجرع عذاب الحرمـان ممن تشاركها الحياة لفترة طويلة .. فـإذا طال الانتظار عما تطيقه أو بدا لك أن زوجتك تصـر بالفعل على مخالـفة الطبيعـة وعدم التكيف مع الواقع الجـديد إلى النهـاية ، فـلا مفـر فى هذه الحـالة من الزواج مرة أخرى وتحـمل هذا العناء الجديد الذى ستـفرضه عليك هذه الظروف الإنسانية .. كـما فرضت عليك من قبل هذه التضحية العـائلية ..

خريف الحرمان!

لست أعتقد أن مشكلتى مشكلة شخصية بحتة .. لأنى أثق فى أن كثيرين من الرجال فى مثل عمرى يواجهونها بشكل أو بآخر ويعانونها إما فى صمت .. أو فى ضجر يدفعهم لارتكاب الأخطاء التى يحاسبون عنها دون النظر إلى مادفعهم إليها .

فأنا رجل فى الواحدة والستين من عمرى وإن كان كثيرون يظنون أننى أصغر من سنى لأننى كنت رياضيا فى شبابى وأحافظ على صحتى بقدر الإمكان ، وأنا حاليا بالمعاش لكنى أشغل جزءا من نهارى بوظيفة لا بأس بها توفر لى ، إلى جانب معاشى ، حياة طيبة نسبيا من الناحية المادية ، ولقد كافحت طوال حياتى بكل ما أوتيت من قوة لتوفير حياة سعيدة لأسرتى المكونة من زوجة طيبة وولدين وابنة رزقنا الله بهم كثمرة لزواج سعيد دام حوالى ثلاثين عاما ، ووفقنى الله خلال هذه السنوات بمعاونة زوجتى فى تنشئة أولادى تنشئة صالحة وتخرجوا فى كلياتهم المرموقة ورزقنا الله من فيض نعمته ما مكننا أنا وزوجتى ـ الأم الحنون لأبنائها ـ من مساعدة هؤلاء الأبناء على الزواج والاستقرار فى بيوتهم جميعا والحمد لله .

ولقد اعـتقدت بعـد زواج الأبناء أننى وزوجتى سـوف نبدأ فى تمضيةمـا تبقى لنا من العمر فى سـعادة وفى الاستمتـاع بالحياة وتعويض أنفـسنا عن التضحيـات التى بذلناها معا طوال مـشوار الحيـاة لصالح أبنائنا ، لكن مـا حدث كـان غير ذلك .. فـلقد بدأت زوجتى فى الاستـغراق فى دور الجدة العجوز لاحفـادنا الصغار بشكل مـغالى فـيـه بالرغم من أنها تصـغـرنى بثمـانى سنوات ، وأصبحت تعتبـر أية مداعبة أو كلمة غزل لها تصرفـا صبيانيا من جانبى .. أو علامة من علامات « الخرَف » التى تداهمنى وصارت تحاول بشـتى الطرق والذرائع أن تتحاشـانى وتتباعـد عنى حتى أصبحـت أشعر أننى أعيش مع أخت لى تحت سـقف واحد وليس مع زوجـة أحبـبتـهـا وارتبطت بها ثلاثيـن عامـا ، وهذا كله على حساب مشاعرى التى تنبئنى أننى مازلت حيا وما زالت فى العمر بقية ، ولقد دفعنى ذلك لأن اتسـاءل هل من العار لمن كان فى مثل سنى وكانت فى مثل عمرها أن يتـرجما المودة والحب اللذين جمعا بينهما ثلاثين عـاما إلى ما هو أكثر من عبـارات المجاملة العادية ، وحبى لرفيقة حياتى مازال على ما هو عليه منذ تزوجتها ؟

إننى أعـرف بالطبع أنها تمر بمرحلة مـا يسمـونه خطأ بمرحلة سن اليـأس وأعرف مـا تمر به المرأة من تحـولات فى هذه المرحلة من العمر ، لكنى أعرف أيضا أن بعض النساء تنعكس عليهن كلمة « اليـأس » هذه بطريقة مـبالغ فـيها ويـعتقـدن أن إقبـالهن على أزواجهن وإظهـار مشـاعرهن لهن فى هذه السن يعـتبـران عيـبا ينقص من احترامهن لأنفسـهن ، كما أن نفور بعض الزوجات من أزواجهن فى هذه المرحلة من العـمر كثيـرا ما يدفع هؤلاء الأزواج

إلى الشك فى تحول مشاعر زوجاتهم عنهم والاسترابة ـ فى وجود « رجل آخر » فى حياتهن وهو ظن خاطىء بالطبع لكن من يتوهمونه لديهم بعض العذر فيه من أحوال زوجاتهم معهم فى هذه المرحلة من العمر .

ولقد وجدتنى أفكر لا إراديا فى هؤلاء الرجال الذين تحولوا وهم فى مثل سنى إلى امرأة أخرى سواء بالزواج الثانى الذى يزلزل حياتهم العائلية ، أو بالعلاقة غير المشروعة .. واتخيل أنهم لابد قد مروا بمثل ظروفى الحالية ،وحاولوا جاهدين إصلاح ما فسد من علاقاتهم بزوجاتهم بلا جدوى ، فلم يعبروا عن أنفسهم فكان هذا التحول ، واتساءل هل يجوز أن نلوم كل من تزوج بأخرى فى مثل هذه السن ونتهمه بالجحود وخيانة العهد وسنوات العشرة الطويلة مع زوجته وأم أولاده أو نتهمه كما يفعل البعض الآخر بالخرف والمراهقة المتأخرة إذا كانت دوافعه لما فعل مماثلة لما أشكو منه الآن ؟

إننى كغيرى لا أوافق أمثال هؤلاء الرجال على تصرفاتهم وخاصة على تورطهم فى علاقات غير مشروعة مع غير زوجاتهم ، ولا أؤمن بالزواج الثانى بعد أن استقرت سفينة الحياة بالزوجين والأبناء بعد رحلة العمر الطويلة ناهيك بالطبع عن العلاقة غير المشروعة لكنى اتساءل عن دور الزوجة فى دفع بعض هؤلاء الرجال إلى الزواج الثانى أو سلوك الطريق غير المشروع فى هذه المرحلة من العمر التى تبدأ غالبا بعد الخامسة والخمسين .

قد تقول لى يا سيدى إن مصارحتى لزوجتى بكل ما أشعر به

هى الحل ولا شك أنها الوسيلة الطبيعية للتعامل مع هذه المشكلة ، لكنى من ناحية أخرى لا أقبل الإحساس بأن زوجتى تقترب منى لمجرد إرضائى وهى كارهة ، فهذا يجرح كبريائى وإحساسى بآدميتى ، كما أننى لا أقر فكرة الزواج الثانى نهائيا لا فى مثل سنى ولا فى أى مرحلة من العمر ، ومن أسف أنه لا توجد لدينا فى الشرق هيئات علمية أو اجتماعية يمكن اللجوء إليها وطلب المشورة منها فى مثل هذه الحالات ، بل إننا نشعر بالخجل والحياء أيضا لمجرد الحديث فى مثل هذه الأمور حتى مع أقرب الأصدقاء ، وكان هذا العامل وحده هو سبب ترددى فى الكتابة إليك طويلا فماذا أنت قائل لى ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

يحتاج الرجل إلى زوجة وشريكة للقلب والمشاعر طوال العمر وليس فقط إلى أم لأبنائه أو جدة لأحفاده .. لكن المشكلة أن بعضنا يشعر بالعمر شعورا مرضيا فيغالى فى الاحساس بتقدم سنه وانقضاء الشباب وانتهاء الدور والحق فى الاستمتاع بالحياة ، فيورثه هذا الشعور المتضخم بالعمر زهدا فى متع الحياة المشروعة وتعففا عنها وميلا للنفور منها أو اعتبارها مما لا يليق به فى سن الجلال والاحترام وكل ذلك ليس من العدل أو الدين أو الصحة النفسية والوجدانية للإنسان فى شىء فالحياة لا تنتهى إلا بانطواء صفحة الإنسان فوق سطح الأرض ، والمشاعر والأحاسيس لا تعرف الشيخوخة أو التوقف ما دام فى الإنسان قلب ينبض ودم يسرى فى العروق ، واستاذنا نجيب محفوظ يقول لنا فى

أصداء السيـرة الذاتية « إننا قد طبعنا على حب الحـياة وكره الموت » . ولا حيلـة للمرء فيـما فطره عليـه خالقـه سبـحانه وتعالى ، والمرحلة التى يفرغ فيها الزوجـان من مسئولياتهما العائليـة ويرحل عنهما الأبناء ليـقيموا اعـشاشهم الصغـيرة وتنتـهى فيـهـا سنوات البناء والكفـاح التى أمـتصت طاقـات الزوجـين فى العـمل الشـاق وتربية الأبنـاء هى المرحلة التى يسميها علماء النفس فى الـغرب حرفيا : السن المحلاة بالسكر أو «Sugarage» ، وهى السن التى تتـهـيأ فـيهـا النفس لتـذوق مباهج الحـياة الحقيـقية من متع مـعنوية ونفسية وعـاطفية لم تسـمح الظـروف خـلال سـنوات الكفـاح والعـمل الشـاق الطويلة بإعطاء الوقـت الكافى لها وفى هذه المـرحلة الذهبيـة من العـمر فـإن الزوجـين لا يتوقـفان عـن النشاط العـاطفى بدعـوى أنه لا يليق بهمـا وهما فى سن الجـلال والاحتـرام أن يتبـادلا كلمات الغزل واللمسات العاطفـية والرومانسـية بل لعلهـما على الـعكس من ذلك قد لا يجـدان من مـراحل العمـر ما هو جدير بمثـل هذه اللفتات من هذه المرحلـة التى خلا كل منهما فـيها لصاحـبه واشتدت حاجـته العاطفيـة والإنسانية إليه .

والمشكلة هى أن بعض الزوجـات قـد يربطن ربطا خاطئـا بين بلوغهن سن الـتوقف عن الانجاب التى تسـمى ظلما بسن اليـأس ، وبين الظن الخـاطىء بـانتهـاء دورهن كزوجـات فى حياة أزواجهن وبداية دورهن كجدات للأحفاد ورفيقات للزوج فى وحدته بعد زواج الأبناء .

وبعض مشاكل الأزواج والزوجات فى هذه المرحلة من العمر التى قد تدفع بعض الأزواج إلى الاعتقاد بتحول مشاعر زوجاتهم عنهم .. وإلى التفكير فى الزواج الثانى أو العلاقة غير المشروعة ترجع أساسا إلى أنهم لا يتعاملون بحكمة مع المتغيرات الفسيولوجية التى تتعرض لها المرأة فى هذه المرحلة من العمر فيطلبون لها العلاج المتاح بدلا من تجاهلها أو الجهل بها .

فالمرأة تتعرض فى هذه المرحلة من العمر لبعض المتغيرات الفسيولوجية التى تنجم عن نقص هورمون الاستروجين فى جسمها منها اللفحة الساخنة أو الفورات التى تتمدد فيها الأوعية الدموية على نحو غير عادى وتنشط الغدد العرقية فتشعر المرأة بموجة ساخنة تجتاح الصدر إلى أعلى ومنها الشكوى من تدفق اللعاب فى الفم أو جفافه وما يرافق ذلك أحيانا من غثيان وصداع أو دوار وأرق ، وما قد يترتب على كل ذلك من بعض الاضطرابات النفسية المؤقتة كالاستسلام للاحساس بالكآبة وفقد الثقة بالنفس والشعور بمركب النقص والاحساس بالإهمال من جانب الزوج مما يقودها إلى الغيرة القاتلة المدمرة فى بعض الأحيان ، فضلا عما يؤدى إليه نقص الاستروجين من ضمور فى بعض أنسجة الجسم ويجعل النشاط العاطفى مؤلما للزوجة ويدفعها للنفور منه وتجنبه ، وكل ذلك قابل للعلاج بشرط أن تنتبه المرأة لهذه الأعراض وتطلب العلاج المتاح لها .. غير أن مشكلتنا كما تقول هى أنه لا توجد لدينا هيئات متخصصة فى هذا النوع من الاستشارات الأسرية أو لا توجد بالقدر الكافى ..

ولم يستقر بعد في وعينا سلوك التوجه إليها وطلب مساعدتها ومشورتها في مثل هذه المشاكل الزوجية ، كما أننا مازلنا للأسف نخجل كما تقول من الحديث عن هذه الأمور حتى لأقرب الأصدقاء ونفضل غالبا أن نكابدها صامتين أو أن نكتفي بالشكوى من أعراضها .. أو نبحث عن حلول خارجية للمشكلة ونعتبر الزوجات مسئولات عن ذلك دون محاولة لعلاج الأسباب .

ومواجهة الحقيقة في النهاية خير دائما من تجاهلها أو الاكتفاء بالشكوى من آثارها وبعض أسباب هذه المشكلة التي تحدثني عنها بالنسبة لزوجتك لا يندرج في تقديري تحت بند الاضطرابات النفسية المصاحبة لهذه المرحلة من العمر بقدر ما يندرج تحت بند الشعور المغالى فيه لديها بتقدم العمر والربط الخاطىء عندها بين النشاط العاطفي والإحساس بالتعارض بينه وبين ما ينبغي للمرأة من وقار واحترام كأم وجدة في هذه المرحلة من العمر وإني لأتفق معك في مسئولية مثل هذه المفاهيم الخاطئة لدى بعض الزوجات عن تطلع أزواجهن إلى الحصول على زادهم العاطفي خارج نطاق الأسرة .. غير أن الخطأ لا يبرر الخطأ في النهاية ولابد دائما من السعي لتصحيح الأخطاء بدلا من التماس العذر فيها لارتكاب المزيد من الأخطاء .. ولابد لزوجتك من أن تعينك على أمرك بطلب العلاج المتاح لآثار نقص الاستروجين في الجسم وبتصحيح بعض مفاهيمها الخاطئة عن العمر والعاطفة ودور الزوجة في حياة زوجها الذي لا يتناقض أبدا مع دورها كأم أو جدة .

الشاهد!

أنا شاب عمرى ٣١ عاما أعمل فى وظيفة مناسبة بشركة محترمة وبمرتب معقول ، وقد تزوجت منذ ٥ سنوات من فتاة أحببتها .. وتمنيت أن أسعد بحياتى معها وأن أسعدها .. ووفقنى الله فى اعداد مسكن مجهز بالتليفزيون والثلاجة والغسالة الأتوماتيك ، وأصبح بيتنا جميلا فى عين كل من يدخله ، ويلمس بساطته وتناسقه والذوق السائد فيه .

وحين انتهيت من اعداد هذا المسكن الصغير قلت لنفسى إننا قد جهزنا « المكان » ولم يبق إلا أن نبعث فيه دفء السعادة والود المتبادل والعشرة الحلوة ، واقبلت على حياتى الجديدة مفعما بالآمال والرغبة القوية فى السعادة ، لكننى لم أحظ بشىء من ذلك للأسف ، لأن زوجتى غير راضية عما أتيح لنا من أسباب ، وأعيش فى نكد مستمر منها ، ومن أهلها الذين يناصرونها على طول الخط ظالمة ومظلومة ، وكذلك بسبب نصائح أمها لها بأن كل ما عليها أن تفعله حين نتشاجر هو أن تضع « ماكياجا » كاملا على وجهها ، وترتدى أحسن قميص لديها .. وتفتح جهاز التسجيل على أعلى صوت له وكأنها تقول للجميع أنه لا يهمها زوجها فى شىء !

أما فى مـناقشاتنـا فهى لا تلتزم الأدب مـعى ويرتفع صـوتها علىّ ، وتنطق بالفاظ غير محترمة مما يجبرنى وأنا الرجل الهادىء المصلى الذى يـشـهـد له الآخـرون بحـسن خلقـه عـلى الرد على إهاناتها ..

وحتى بعد أن أنعم الله علينا بالولد استمرت والدتها تؤلبها على وعلى أخـوتى الـذين يكنون لـزوجـتـى الحب وذلك لكى تـقطع عـلاقــاتهـا بهم بـالرغم من أنهم يقــيـمـون فى أطـراف المدينة ولا يزوروننا كثيرا .

وحين بلغ إبنى من العمر عامين ونصف العام أصبح للمشاكل بيننا شكل آخر وعند حدوث خلاف بينى وبينهـا خلال الليل فإنها بدلا من أن تحتوى المشـكلة لكيلا يصحو الطفل من نومـه ، فإنها توقظه لكى يشهد « الخناقـة » بينى وبينها ويكون « شاهدا » على ما يجـرى بيننا فلا يملك الطفل الصـغير إلا أن يبكى ويرتجف من الخوف والفزع ، وفى بـعض الأحيان قد لا تكتفى بايـقاظه فقط ، وإنما تضربه أيضا لكى ينشأ « معقدا » مثلها كما تقول لى .

ومنذ بضـعـة أسـابيع طلـبت منى أن تذهب إلى بيـت أهلهـا لحضـور حفل عـيد مـيلاد أحـد إخوتهـا .. واعتـرضت على ذلك لمرضهـا بسبب الحمل ، فـذهبت إلى أهلها غاضـبة .. واستبـقاها الأهل لديهم بغير أن يرشدها أحد منهم إلى الصواب وأيدوها على طول الخط كـعادتهم مـعهـا ، وكان شـرطهم لعـودتها للبـيت أن يتنازل أهلى عن دين لهم أقترضته منهم لعلاجها عقب الولادة من مرضـها .. وألا التزم بدفع أقـساطه ، لأن ذلك كمـا يقولون يؤثر على حياة ابنتهم .

إننى أكـتب إليك الآن لكى أقول لـك إنه لا أحد يطلب التـعاسـة لنفسـه أو يتـمنى الفـشل فى الزواج ، لكن ظروف الحـيـاة قـد تضطرنا فى بعض الأحـيان إلى أن نفـعل ما لا نتمناه لأنـفسنا .. فأنا مثـلا لم أكن أتصور أن يجىء اليوم الذى أفكر فـيه جديا فى الطلاق ، وهدم بيـتى وتمزيق طفلـى الصغـيـر بينى وبين أمـه .. ويكدر على حـيـاتى الآن التـفكيـر الدائم فى مـصـيـر هذا الطفل البرىء .. ومـصيـر الجنين الذى لم يأت إلى الحيـاة بعد .. فـماذا أفـعل يا سـيـدى .. ومـاذا تقـول لهـذه الـزوجـة ولأهلهـا الذين يناصرونها دائما ضدى ؟!

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

نعم يا صـديقى لا أحـد يطلب التعـاسـة لنفسـه أو يرغب بصدق فى حرمان أطفاله من سعادتهم ، وأمانهم بين أبويهم ، لكن السعـادة لا تتحقق بالتمـنى وحده ولا بالرغبة السلبـية فـيهـا ، وإنما تتحـقق كذلك بالـعناء .. وبالصبـر على بعض المكاره .. والتـعـالى عـلى الصـغـائر ، والتـحلـى بالمرونة الضـرورية فى بعض الأوقات ، وإلا تحـولت العلاقـة بين كل زوجين إلى عـلاقة صراع لا عـلاقة تفـاعل وتحاور وتنازلات متـبادلة وحـرص مشتـرك على حماية الحـياة الزوجـية من الانهيار .

بل إننا نحتـاج فى بعض الأوقات لكى نحافظ على سـفينة الحـياة طافـية فـوق سطح الماء إلى أن نسـتـعيـر من العلوم السياسية بعض قواعد فن إدارة الأزمات ونطبقها بحكمة على حـياتنا الخـاصـة ، ومنهـا أن نعرف مـتى نتراجع عن إرادة

أو رغبة لا يؤدى التـمسك المتحجر بها للنهـاية إلا إلى انفجار الموقف وتقطـع الخيـوط بيننا وبيـن الآخـرين .. وأن نكون مستعدين فى بعض الأحيان للقبول بالحلول الوسط بديلا عن الحلول المثلى الملبيـة لكل رغـباتنا وشـروطنا ، وأن نتـجنب الاستجابة لاستفـزازات الآخرين ، ونفوت عليهم الفرصة لدفع الأمور بيننا وبينهم إلى الطريق المسدود ..

وما تشكو منه من مشاحنات بينك وبين زوجتك ومناصرة أهلها لهـا ضدك .. وما تتصـوره من تحريض أمهـا لها عليك ، و « نصائحها » غير الحكيمة لها بشأن التعامل معك فى وقت الخلاف ، كل ذلك مما يمكن احتواؤه وإصلاحه وتخفيف آثاره السلبيـة .. والصبر على مكارهه .. إذا انعـقدت ارادتك وإرادة زوجـتك على إنقـاذ سـفينتكـما من الغـرق ، وإنقـاذ طفلكمـا الصـغيـر من الشقـاء وطفلكما المقبل من المصـير المجـهول .. وتحـديد الهدف الذى يسـتـحق أن يسعـى إليه الإنسـان بكل ما يملـك من جهد وطاقـة يؤدى به بالضرورة إلى اسـتبـعاد الوسـائل التى لا تعـينه على بلـوغ الهـدف .. واتخـاذ كل الوسائل التى تقربه منه .. فإذا اتفقنا على أن الهدف الأساسى لك ولزوجـتك ينبغى أن يكـون انقاذ حـياتكمـا الزوجيـة من الانهيار وطفلكما والجنين القادم من عالم الغيب مما يتهددهما من تمزق وحيرة وضياع إذا حـدث الانفصال بينكما ، فإن ذلك يفرض على كل منكما أن يتنازل عن كل « الأهـداف الصغيرة » الأخرى له كـهدف الانتصـار الرخيص فى مـعركة قـهر إرادة الطرف الآخر واملاء الرغبات وفرض الشروط وأن يركز جهده

على كل ما يقرب وليس ما يفرق بينكما .

وقديمـاً قال الأديب الانجليزى لورد جون أوبك أفـبرى ، إن الفشل الشريف خير من الفوز الرخيص ، وتطلع كل منكما الآن فى هذا الموقف المتأزم لفـرض ارادته على الآخر دون أى تنازل من جانبه وإلا وقـع الانفصـال لن يكون إذا تحقق على حساب مـصيـر طفلكمـا وجنينكمـا سـوى فوز رخـيص ، الفـشل فى تحقيقه أشرف كثيرا من النجاح فيه .

وفشل كل منكمـا الآن فى املاء رغباته على الآخـر إذا كانت نتيـجته الحـتميـة هى توصلكما مـعا لحل وسط واسـتـعادة الوفـاق بينكمـا وعـودة طفلـكمـا للحـيـاة بينكمـا بلا قـلاقل ولا اضطرابات هو عين « الفشل الشريف » الذى يحق لكل ذى قلب حكيم منكما أن يفـتخر به ويحـتسبه من فـضائله وليس من مواقف ضعفه أو هزائمه .

ولهذا كله فإنى أدعوك أنت وزوجتك وأهلك إلى كلمة سواء تتوصلون مـعهـا باذن الله إلى تبديد غيـوم الخلاف والشـقاق بينك وبين زوجـتك وإعـادة الأمـان والاطمـئنان لحـيـاتكمـا وطفلكمـا وجنيـنكمـا المقبل مع رجـائى الحـار لزوجـتك إذا مـا نشب بينكما فى المسـتـقبل أى خـلاف - أن تعفى طفلكمـا البـرىء مـن « الشـهـادة » عليـه .. وأن تؤمن مع العـقـلاء والرحـمـاء من الآباء والأمـهـات بأن أثمن مـا يقـدمـه أب وأم لأطفالهمـا مهما يكن نوع العلاقـة بينهما ، هو طفولة سـعيدة خاليـة من الآلام .. والأحزان .. والمؤثرات السـلبية الكـريهة ، وليست طفـولة معذبة شقـية حافلة بمثل هذه « الشـهادات » اللاإنسانية !

الهروب إلى الماضى!

أنا شاب فى الخامسة والعشرين من عمرى نشأت فى أسرة متدينة .. وكنت الابن الوحيد لأبوين من رجال التعليم الأب يعمل مدرسا للغة العربية ووكيلا لمدرسة إعدادية ، والأم مدرسة لمادة التاريخ بنفس المدرسة . فنهلت منذ صغرى من نبع الحب والحنان المتدفق فى قلب أمى وصدر أبى .. ونشأت منذ طفولتى على الالتزام والطاعة .. بالرغم من أننى ابن وحيد وشعرت دائما باعتزاز أبى وأمى بى . ومضت بنا سنوات العمر وتقدمت فى الدراسة من مرحلة إلى مرحلة حتى حصلت على الثانوية العامة ، والتحقت بالجامعة وبدأت أتطلع للحياة والمستقبل ، وأحلم بالغد الذى أتخرج فيه فى كليتى وأعمل .. وتضع الحياة فى طريقى الفتاة التى سأرتبط بها وتشاركنى رحلة العمر .. إلى أن قطع على هذه الأحلام السعيدة يوم الاثنين الأسود اللعين الذى وقع فيه الزلزال الكبير فى ١٢ أكتوبر ١٩٩٢ ورجعت إلى البيت عقب وقوعه بساعة فإذا بى أجد بيتنا ركاما وحطاما وأكواما من التراب ، وأبى وأمى تحت أنقاضه ، فأقف وسط رجال الإنقاذ منهارا ومذهولا وضائعا أشهد مشهد الختام المؤلم فى حياة أبى وأمى ، اللذين كانا كل ما لدى فى هذه الدنيا الغادرة .. وأراهما

بأم عينى محمولين على محفات رجال الانقاذ إلى المصير المحتوم .
وكنت حين وقعت هذه المأساة التى غيرت كل شىء فى حياتى فى التاسعة عشرة من عمرى فانتقلت للعيش مع جدتى لأمى وحاولت جدتى أن تعوضنى بعض ما فقدت من حب وحنان ولكن هيهات أن تستطيع ذلك وحزنها هى نفسها كان أضعاف حزنى .. وحاولت أن أتحصن بالقرآن والصلاة لكنى كنت قد فقدت شيئا من روحى السابقة لا أستطيع استرداده .. ووسط هذه الظروف القاسية واصلت دراستى حتى انتهيت منها وهزم الحزن والقهر جدتى الطيبة فرحلت هى الأخرى عن الحياة رحمها الله ووجدت نفسى وحيدا تماما فى الدنيا ونظرات الاشفاق تحيط بى من كل جانب .

وعقب وفاة جدتى كرهت الحياة فى بلدتى التى نشأت فيها .. فتركتها هربا من نظرات الشفقة التى تقتلنى وانتقلت إلى مدينة ساحلية كبيرة عسى أن أنسى فيها حزنى وهمى ووحدتى ، وعملت فى مكان لا يعرفنى فيه أحد على الاطلاق ، وتضرعت إلى الله أن يمدنى بالقدرة على تحمل حياتى ، لكنى تحولت إلى إنسان نصف غائب عن الوعى وفقدت توازنى النفسى وعجزت عن تحمل الواقع . فرحت أهرب منه إلى الماضى وأعيش فيه واستعيد مشاهد حياتى السابقة قبل سنوات حين كنت أعيش فى بيت دافىء بالحب والحنان .. وأرى نظرة الحب والاهتمام فى عينى أبى .. ونظرة الحب والفخر والاعتزاز فى عينى أمى ، وأرانى محور حياتهما واهتمامهما فى كل شىء فإذا كنت خارج البيت لا يهدأ لهما بال إلا حين يسمعان صرير مفتاح الشقة وأنا أفتح به الباب وأدخل عليهما قائلا : مساء الخير يا بابا .. مساء الخير يا ماما .. فيردان على التحية بأحسن منها، ويطمئن قلباهما .. وتنهض أمى لاعداد

العشـاء لى .. ويدعونى أبى للجلوس بجانبـه بعض الوقت قبل أن ينام ويسألنى عما فعلت خـارج البيت .. ومَنْ من الأصدقاء قابلته وماذا قلنا فى سـمرنا معـا .. وينصت باهتمام شـديد لما أحكيه له من ذلك كأنما ألقى على أسماعه الـدرر الغالية .. ويضحك من قلبه على أية نادرة أرويهـا له وترجع أمى بصينيـة العشاء وتـشاركنا الضحك وتحـدونى بعطفها كـأنى طفل صـغيـر .. أما احتيـاجاتى ومطالبى فقد كانت لها الأولوية المطلقة عندهما .. ومن بعد ذلك كل شىء يمكن تدبيره أو الانـتظار عليه .. وإذا جلسا فى أول الشـهر يعدان ميزانية البيت كان أول ما يفكران فيه هو مصروفى .. وثمن كـتـبى .. ومـلابسى .. الخ ، أمـا إذا مـرضت بـنوبة برد أو نزلة معـوية ، فلا شـاغل لهما إلا صـحتى ودوائى ونصـحى بالراحة وعدم التسرع فى الخروج من البيـت قبل الشفاء التام .. وأما يوم نجاحى فى نهاية العام فهو عيد خـاص لهما تنهال على فيه كلمات التهنئة والإشادة وعبارات الدعاء لى بالفلاح والسعادة فى الحياة ، وهكذا تتوالى علـى الذكريات .. وتتراءى لـى الوجـوه الحبيـبة فى وحدتى وتمضى بى الساعات وأنا مسـتغرق فى الماضى الجميل .. فكأنما أعيش فيـه أكثر مما أعيش حاضـرى التعيس .. ويسىء من حـولى تفسـير هذا الصـمت شـبه الدائم وهذه العـزلة وتتسـاءل نظراتهم عما يحول بينى وبين الاندماج معهم ..

ولقد كتبت لك هذه الرسالة لأنه لا صديق لى أشكو إليه حزنى وهمى فأرجو أن تفتح لى قلبك وألا تضن على بنصيحتك والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

حـين يشـتد ضـيـقنا بتـعـاسـتـنا قد نتـلمس السلوى فى استـرجـاع ذكريات الأيام السـعيـدة فى حـياتنا ومـعايشـة

رموزها وشخوصها فى مخيلتنا ووجداننا لبعض الوقت . ولقد عبر عن هذا المعنى الأديب الفرنسى الكبير جوستاف فلوبير حين فرقت الأيام بينه وبين أسرته وأشتد إحساسه بمعاناته فى وحدته ، فكتب فى رسالة إلى أمه يقول : بينما يواصل جسدى خطواته إلى الأمام فإن أفكارى لا تفتأ ترجع إلى الوراء وتعود إلى الأيام السعيدة التى عشتها فى كنفك ..

غير أن استرواح نسائم الماضى السعيد بهدف استرجاع بعض لحظاته الجميلة من حين لآخر شيء .. والاستغراق الكامل فيه معظم الوقت وبشكل يعوق تواصل الإنسان مع حاضره وتقبله له شيء آخر ينبغى التوقف أمامه .. والاحتراس من آثاره النفسية السلبية .. فحياة كل إنسان فى الحياة تتمحور دائما حول ثلاث دوائر هى ماض بعيد يحن إليه من حين لآخر .. وحاضر يحياه ويتواصل معه ويوجه إليه كل همته واهتمامه .. وغد يتطلع إليه ويأمل فيه دائما . واستغراق الإنسان فى ماضيه على حساب حاضره والتطلع لمستقبله يعنى الهروب النفسى من الواقع والعجز عن تقبله والتواصل معه .. واستغراق الإنسان فى التطلع إلى الغد على الناحية الأخرى يعنى إهدار الحاضر لحساب مستقبل فى علم الغيب ، والاستغراق فى الأحلام على حساب الواقع ، والتوازن النفسى يطالبنا دائما بتقبل الحاضر والتواصل معه ومعايشته بصفة أساسية فلا يمنعنا ذلك من التماس العزاء من حين لآخر فى ذكريات الماضى السعيد ، ولا من التمسك دائما بالأمل فى المستقبل . وأنت شاب فى مقتبل العمر .. ولم تكد جولتك فى الحياة تبدأ أول فصولها ، ومهما كانت قسوة المأساة التى فرضتها عليك أقدارك الحزينة ، فلابد لك أن

تقبل بصبر وإيمان وشجاعة بواقعك الأليم .. وتكف عن الهروب النفسى منه ، لأنه لا جدوى للأسف من الاستغراق فى الحزن والصمت والعزلة ورفض الواقع والهروب منه إلى الماضى ، وأنت يا صديقى فى أشد الحاجة إلى التفاعل مع الحياة والاندماج مع البشر من حولك ، واكتساب الصداقات الجديدة وشغل أوقاتك بالنشاطات الاجتماعية المختلفة ، لأن الوحدة بلاء لا يحتمله الإنسان السعيد الذى تخلو حياته من الأحزان والمآسى .. فكيف بمن كان فى مثل ظروفك الحزينة هذه التى تصبح فيها الوحدة بلاء لا يحتمله أولو العزم من الرجال ؟ إن المحزون تشتد حاجته إلى المشاركة الوجدانية فى أحزانه وليس إلى الانفراد بها دون الغير وليس هناك ما يدعوك إلى العزلة ورفض الآخرين والهروب بمأساتك من مكان إلى مكان .. ومن زمان إلى زمان ، كأنما تتوارى بسوأة ارتكبتها عن العالمين لأنك ضحية لأقدار مؤلمة ولست جانيا على أحد ، ولأنه لا معنى لانفرادك بأحزانك نفورا من نظرات الإشفاق فى عيون الآخرين إذا علموا بها أو شاركوك فيها .. والحق أنى على كثرة ما حاولت قدر جهدى فهم بعض أسرار النفس البشرية ، فإنى لم أستطع أن أفهم حتى الآن منطق نفور بعض المبتلين من نظرة الاشفاق عليهم فى عيون الآخرين ، ذلك أنه ليس فى اشفاق الآخرين علينا ما يدعونا للنفور منه بدلا من الامتنان له والتخفف به من بعض أحزاننا ، بل إن فى حرماننا من العطف الإنسانى ما يضاعف من معاناتنا ، ويشعرنا بوحدتنا الكاملة فى مواجهتها ، وبهوان أمرنا على الآخرين وافتقادنا لمن يهمه أمرنا . وكل إنسان فى الوجود مهما علا قدره واشتد بأسه يحتاج إلى

شىء من العطف الإنسانى من جانب المقربين إليه .. فهذا العطف ليس سوى « إعلام » له بأن هناك من يهتمون بأمره ويشفقون عليه من مكابدة همومه وحيدا .. فإذا كنا نرفض من يغالون فى التطفل على الآخرين بأحزانهم وهمومهم بلا مبرر لذلك سوى الاعتمادية النفسية على الغير وادمان الشكوى واستجداء العطف ، فإنه ينبغى لنا أيضا أن ندين من يغالون فى الانطواء على أحزانهم واعتبار إشفاق الآخرين سلوكا يربأون بأنفسهم عن التعرض له .. والهم من أشد الأسلحة فتكا بالإنسان إذا انفرد به وحده وافتقد المشاركة والعزاء .. ففيم انفرادك به دون غيرك من البشر .. وفيم نفورك من الآخرين وأنت فى أشد الحاجة إلى الصحبة والإيناس ؟!

إننى أدعوك إلى أن تعتبر جماعة أصدقاء « بريد الأهرام » التى ستعقد اجتماعا قريبا لها بإذن الله فى مدينتك الساحلية هى أسرتك الكبيرة التى يسعدها انتماؤك لها ومشاركتك فى أنشطتها .. ولسوف أدعوك بإذن الله إلى الاجتماع المقبل بمدينتك وأقدمك لأعضائها ومن بينهم عدد كبير من أبناء مدينتك سوف يتواصل اللقاء بينك وبينهم بإذن الله بعد انفضاض الاجتماع .. وليكن ذلك هو الخطوة الأولى فى خروجك من قوقعة الأحزان .. ومحاولة التواصل مع الحاضر والقبول به .. أما الخطوة الكبرى فلسوف تتحقق إن شاء الله حين تصنع أسرتك الصغيرة وتجمع الأقدار بينك وبين من تشاركك رحلة الحياة وتتقاسمان فيها أحزانها وأفراحها .. بإذن الله .

صدر للمؤلف

١	أصدقاء على الورق	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ١٩٨٦
٢	يوميات طالب بعثة	أدب رحلات	الطبعة الأولى ١٩٨٧ (نفد)
٣	هتاف المعذبين	قصص إنسانية	الطبعة الأولى ١٩٨٨
٤	صديقى لا تأكل نفسك	مقالات وصور أدبية	ط. أولى ١٩٩٠ط. رابعة١٩٩٦
٥	نهر الحياة	قصص إنسانية	ط. أولى ١٩٩٠ط. ثالثة١٩٩٦
٦	العصافير الخرساء	قصص إنسانية	ط. أولى١٩٩١ط. ثالثة١٩٩٦
٧	صديقى ما أعظمك	مقالات وصور أدبية	ط. أولى١٩٩١ط. ثانية١٩٩٣
٨	العيون الحمراء	قصص إنسانية	ط.أولى١٩٩٢ط.خامسة١٩٩٨
٩	افتح قلبك	مقالات وصور أدبية	ط. أولى١٩٩٢ط. ثانية١٩٩٦
١٠	اندهش يا صديقى	مقالات وصور أدبية	ط. أولى١٩٩٢ط. رابعة١٩٩٧
١١	أزواج وزوجات	قصص إنسانية	ط. أولى١٩٩٣ط. ثالثة١٩٩٦
١٢	أرجوك لا تفهمنى	قصص إنسانية	ط. أولى١٩٩٣ط. ثانية١٩٩٦
١٣	رسائل محترقة	قصص إنسانية	ط. أولى١٩٩٣ط. ثانية١٩٩٦
١٤	وقت للسعادة .. ووقت للبكاء	مقالات وصور أدبية	ط. أولى١٩٩٣ط. ثالثة١٩٩٦
١٥	شركاء فى الحياة	قصص إنسانية	ط. أولى١٩٩٣ط. ثالثة١٩٩٦
١٦	أماكن فى القلب	قصص إنسانية رومانسية	الطبعة الأولى١٩٩٤
١٧	لا تنسنى	قصص رومانسية	ط. أولى١٩٩٥ط. ثانية١٩٩٦
١٨	نهر الدموع	قصص إنسانية	ط. أولى١٩٩٥ط. ثانية١٩٩٦
١٩	أقنعة الحب السبعة	قصص إنسانية	ط. أولى١٩٩٧ط. رابعة ٢٠٠٠
٢٠	خاتم فى اصبع القلب	صور أدبية	ط. أولى١٩٩٦ط. ثالثة١٩٩٩
٢١	وحدى مع الآخرين	مقـــــالات	ط. أولى١٩٩٦ط. ثالثة١٩٩٩
٢٢	سلامتك من الآه	مقالات وصور أدبية	ط. أولى١٩٩٧ط. ثانية١٩٩٨
٢٣	هو وهى والآخرين	قصص إنسانية	الطبعة الأولى١٩٩٧

٢٤	مكتوب على الجبين	قصص إنسانية	الطبعة الأولى١٩٩٧
٢٥	أوراق الليل	قصص إنسانية	الطبعة الأولى١٩٩٧
٢٦	طائر الأحزان	قصص إنسانية	ط. أولى١٩٩٦ط. ثانية١٩٩٧
٢٧	اعط الصباح فرصة	مقالات وصور أدبية	الطبعة الأولى١٩٩٦
٢٨	الحب فوق البلاط	قصص قصيرة	الطبعة الأولى١٩٩٧
٢٩	سائح فى دنيا الله	أدب رحلات	ط. أولى١٩٩٧ط. ثانية١٩٩٨
٣٠	قالت الأيام	قصص إنسانية	الطبعة الأولى١٩٩٧
٣١	صور من حياتهم	قصص قصيرة	ط. أولى١٩٩٨ط. ثانية١٩٩٨
٣٢	ساعات من العمر	مقالات وصور أدبية	الطبعة الأولى١٩٩٨
٣٣	أهلا مع السلامة	مقالات وصور أدبية	الطبعة الأولى١٩٩٨
٣٤	عاشوا فى خيالى	مقالات وصور أدبية	ط. أولى١٩٩٨ط. ثانية١٩٩٩
٣٥	قدمت أعذارى	خواطر وتأملات	الطبعة الأولى١٩٩٩
٣٦	ترانيم الحب والعذاب	مقالات وصور أدبية	الطبعة الأولى١٩٩٩
٣٧	الثمرة المرة	قصص إنسانية	الطبعة الأولى١٩٩٩
٣٨	دموع القلب	قصص إنسانية	الطبعة الأولى١٩٩٩
٣٩	أيام السعادة والشقاء	قصص إنسانية	الطبعة الأولى١٩٩٩
٤٠	أرجوك أعطنى عمرك	مقالات وصور أدبية	الطبعة الأولى٢٠٠٠
٤١	من المفكرة الزرقاء	صور ومقالات أدبية	الطبعة الأولى٢٠٠٠

فهـــرس

رقم الإيداع

٢٠٠٠/٨٩٧٧

الترقيم الدولى

977 - 08 - 0927 - 6